909.220
13/192

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945
قالمـــة

جامعة 08 ماي 1945 قالمة
قسم التاريخ والآثار
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ والآثار

التخصص : التاريخ العام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان

سياسة التنصير الفرنسية في الجزائر (من 1830 إلى 1940)

من إعداد الطالبة :
رواقدية نجاة

الأستاذ المشرف:
شرقي محمد

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
فركوس صالح	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945
شرقي محمد	أستاذ محاضر رتبة أ	مشرفا ومقررا	جامعة 8 ماي 1945
قدادرة شايب	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة 8 ماي 1945

السنة الجامعية 1434/1433 هـ
2013/2012 م

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى
حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ
الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي
جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ
وَلاَ نَصِيرٍ

الآية : 120سورة البقرة

خطة البحث

شكر و تقدير

مقدمة

الفصل الأول: ظهور التنصير في البلاد الإسلامية

I. مفهوم التنصير و بدايته و تطوره.
II. بواعث التنصير و أهدافه.
III. منهج التنصير و أساليبه و وسائله.

الفصل الثاني: الاحتلال الفرنسي للجزائر و بداية سياسة التنصير.

I. النزعة الدينية عند المسؤولين الفرنسيين اثناء الحملة.
II. دور الكنيسة في التمكين للنظام الإستعماري الصليبي.
III. الخطوات الأولى للحملة التنصيرية ما بين 1830-1837.

الفصل الثالث: التأسيس و التقنين و التنفيذ للمشروع التنصيري.

I. تأسيس الأسقفية سنة 1838.
II. وسائل تنفيذ سياسة فرنسا التنصيرية.
III. دور لافيجري و شارل دوفوكو في تنصير الجزائريين.

الفصل الرابع: ردود الفعل الجزائرية من سياسة التنصير و آثارها.

I. موقف المؤسسات الدينية الجزائرية.
II. موقف المسلمين الجزائريين.
III. آثار و انعكاسات سياسة التنصير على المجتمع.

خاتمة.

ملاحق.

قائمة المصادر و المراجع.

فهرس الموضوعات.

مقدمة

مقدمة:

لم يكن احتلال الجزائر احتلالا عسكريا فقط و إنما كان يستهدف الفكر و العقل و الروح، لذلك كانت المقاولة الاستعمارية في الجزائر تحمل مشروعا له أبعاده العقدية و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية.

فكان الاستعمار يحمل معه عدة مشاريع من بينها مشروع التنصير الذي كان يسير إلى جانب تنصير الأرض أي إحلال المسيحي محل المسلم بمصادرة أراضيه و إحلال الكنيسة محل المسجد و إحلال الفرنسة محل العربية، بعبارة مختصر تغيير كل شيء.

لذلك كان اهتمامي بهذا الموضوع لتبيان جوانب كثيرة فيه من هدم الاستعمار لمؤسسات الأمة الجزائرية.

أسباب اختيار الموضوع:

وبعد الاطلاع على الكثير من المواضيع التاريخية المختلفة ارتأيت اختيار موضوع سياسة التنصير الفرنسية في الجزائر من 1830م إلى 1940م لكونه جدير بالدراسة ولما يكتسبه من أهمية تاريخية، دينية سياسية اجتماعية وثقافية، تمس مصير الشخصية الجزائرية، ومن هنا فدوافع اختياري لهذا الموضوع هي :

- قلة وجود دراسات متخصصة حول الموضوع، لذلك حاولت بدوري أن أخص هذا الموضوع بالدراسة.
- هذا الموضوع دسيسة من دسائس سياسة فرنسا الاستعمارية التي اتبعتها في الجزائر.
- بغية إظهار حقيقة عداء المسيحيين للإسلام وما يكنونه من بغض وحقد للمسلمين.
- انتشار بعض الظواهر الاجتماعية الغربية عن ثقافتنا الإسلامية جعلتني أتساءل عن الخلفيات الكامنة وراء هذه الظواهر.

وقد حضرة فترة الدراسة من 1830 إلى 1940م، بداية من 1830م لأنني ربطت سياسة التنصير بالتواجد الاستعماري الفرنسي في الجزائر، توقفت عند سنة 1940، لأنه منذ عقد الثلاثينيات من القرن 20، بدأت تتراجع العمليات التنصيرية في الجزائر لتعلن الدول الاستعمارية

بصفة رسمية عن تخليها التنصير كحركة أما كسياسة فبقيت تتجلي في مظاهر أخرى ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى اهتمام الكتاب بالجانب السياسي (الحركة الوطنية) أكثر في فترة ما بعد الأربعينات.

إشكالية البحث:

وتمت دراسة البحث من خلال معالجة جملة من الإشكاليات هي :

- كيف كان ظهور التنصير في البلاد الإسلامية؟
- ما هي محاولات فرنسا لتنصير الشعب الجزائري؟
- و ما هو موقف الجزائريين من سياسة التنصير؟
- ما مدى انعكاس هذه السياسة على المجتمع الجزائري قبل وبعد 1940؟

المنهجية:

وقد اتبعت لدراسة الموضوع المنهج التاريخي الوصفي، إذ استخدمته في سياق عرض الوقائع التاريخية و سردها، و المنهج التحليلي وذلك حسب ما تقتضيه منهجية دراسة عناصر هذا الموضوع.

محتوى المذكرة:

تم تقسيم خطوات البحث على النحو الأتي:

مقدمة ثم أربعة فصول تناولت فيها :

في الفصل الأول: ظهور التنصير في البلاد الإسلامية من خلال تحديد مفهوم التنصير والتبشير وبدايته وتطوره وأهم الأهداف التي كان يسعي إلى تحقيقها وأهم الأساليب المتبعة والوسائل المتخذة.

أما الفصل الثاني: عالجت فيه الاحتلال الفرنسي للجزائر و بداية سياسة التنصير وعلاقة الاستعمار بالكنيسة حيث يظهر الدور لدى المسؤولين الفرنسيين ومدى تواطئهم ورجال الدين في التمكين للنظام الاستعماري الصليبي.

بالإضافة إلى الفصل الثالث: تناولت فيه بداية العمل التنصيري رسميا وذلك بتأسيس الأسقفية، موضحة بعدها أهم الأساليب والوسائل التي اتبعتها فرنسا لتنفيذ سياستها، وقد أدرجت دراسة شخصيتين بعدان

من أهم رواد التنصير وهما لافيجري الذي يمثل ذروة النشاط التنصيري إذ بوصوله إلى الجزائر انطلقت سياسة التنصير كحركة، ودوفوكو باعتباره من أكبر مكتشفي الصحراء، ومبشر التوارق.

وأخيرا في الفصل الرابع: تطرقت إلى ردود أفعال المسلمين الجزائريين ومواقف المؤسسات الدينية الجزائرية من هذه السياسة وأهم الآثار الناتجة عنها.

المصادر و المراجع:

ومن أجل إنجاز هذا البحث اعتمدت على جملة من المراجع –وقد تبدو كثيرة– للحصول على المادة الكافية لتغطية الموضوع والإلمام بجميع عناصره.

ونظرا لنقص المراجع المتخصصة فقد اعتمدت أكثر على كتاب خديجة بقطاش الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830–1871، كتاب محمد وعلي التعليم التبشيري في الجزائر إذ هما كتابان متخصصان في الموضوع، كذلك محاضرات الملتقى الفكري السابع للتعرف على الفكر الإسلامي لأنه ناقش الموضوع من جميع جوانبه تقريبا .

بالإضافة إلى مراجع أخرى ككتاب أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي الجزء السادس والجزء الأول وكتاب رابح تركي التعليم القومي والشخصية الجزائرية واللذين احتويا في طياتهما بعض عناصر الموضوع.

الصعوبات:

وكأي باحث أو طالب فقد اعترضتني بعض الصعوبات في إنجاز هذا البحث أهمها :

نقص المادة العلمية المتخصصة من طرف الكتاب الجزائريين التي تعالج سياسة فرنسا التنصيرية، وحتى إن وجدت فهي لا تمس الموضوع بصفة مباشرة.

اتصالي بالكنيسة ولم أتحصل على معلومات كافية نظرا لتحفظ رجالها في هذا الموضوع.

و ختمت مذكرتي بأهم الاستنتاجات و الإستخلاصات المستوحات من خلال فصول هذا البحث.

الفصل الأول

الفصل الأول: ظهور التنصير في البلاد الإسلامية

I. مفهوم التنصير و بدايته وتطوره :

1. مفهوم التنصير:

في اللغة :

يعنى الدخول في النصرانية، ونصره جعله نصرانيا[1] و في الحديث [كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه اللذان يهودانه أو ينصرانه][2].

في الاصطلاح :

لا يبتعد المفهوم الاصطلاحي للتنصير عن مفهومه اللغوي ، فقد عرفه محمد عمارة بقوله : «التنصير هو الدعوة إلى النصرانية بين أبناء الديانات الأخرى أو في أوساط الوثنيين و اللادينيين و تسمى هذه الدعوة " التبشير" باعتبارها دعوة إلى الإنجيل ، والإنجيل معناه باليونانية: البشارة لكن الأدق في التعبير عن الدعوة إلى النصرانية هو مصطلح التبشير[3]». وهذا الأخير يمكن تعريفه في اللغة على أنه أصل التبشير مادة بشر يبشر بالفتح و معناه الفرح و السرور، و الْبِشْرُ الطلاقة يقال بشرني فلان بوجه حسن، أي لقيني و هو حسن الْبِشْرْ بالكسر أي طلق الوجه... و بَشَّرَهُ و أَبْشَرَهُ فَبَشِرَ به أي فرح، و أصل هذا أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور.

و التبشير يكون بالخير بمعنى وعد كقوله تعالى : /يبشرهم ربهم برحمة منه و رضوان و جنات لهم فيها نعيم مقيم/[4]، و يكون بالشر بمعنى توعد كقوله تعالى :/ و بشر الذين كفروا بعذاب أليم/[5] [6].

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ج6 ، مادة نصر ، باب النون ، دار المعارف ،(دط)،(دت)، ص4441.

[2] محمد عمارة ، معركة المصطلحات ، دار الشروق ، ص60.

[3] المرجع نفسه ، ص61.

[4] سورة التوبة 21.

[5] سورة التوبة 3.

[6] ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص ص 286-288.

و القرآن الكريم وصف خاتم الأنبياء بأنه مبشر حيث قال تعالى : /يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا/[1].

أما في الاصطلاح التبشير (évangélisation) مأخوذ من كلمة (évangile) و هي كلمة إغريقية مأخوذة من كلمة (euaggelion) أما أصلها اللاتيني فهو كلمة (evan galium)، و معناها الخبر أو النبأ السار، و البشارة، و بهذا تكون البشارة معنى الإنجيل اللغوي[2] إذ للإنجيل مجموعة من المعاني منها :

- عقيدة المسيح (الخبر السعيد أو النبأ السار).
- هو دين (مجمل الأفكار المستوحاة من الكلمة).[3]

و من هنا فإن التبشير عرف تعاريف عديدة، و لكنها مرتبطة كلها بهذا المعنى و من تلك التعاريف نذكر:

- التبشير بالإنجيل خارج العالم المسيحي، مثل التبشير في إفريقيا.
- هو تلقين الإنجيل مثل تنصير(تمسيح) إفريقيا، و تنظيم لنشر المسيحية في العالم عن طريق الدعاية لبث الإيمان.
- القيام بالتنصير خارج العالم المسيحي.[4]

وفي الحقيقة إن إطلاق لفظ التبشير على الدعوة النصرانية يلقى رفضا من قبل بعض العلماء و منهم –محمد عمارة– له ما يسوغه لأن النصارى حريصون على استخدامه فهو يعني كما ذكرنا سابقا البشارة التي تعني الإخبار بأمر سار، لكن في اللغة العربية تطلق البشارة على الخير والشر أيضا [5].

---

[1] سورة الأحزاب 46.

[2] لويس معلوف و آخرون، المنجد في اللغة و الأعلام، ط26، دار المشرق، بيروت، 1986، ص38.

[3] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط2، م3، دار المعرفة،بيروت، ص 158.

[4] Dictionnaire pratique Quillet,Libraire Aristide Quillet, paris,1974,p997.

[5] ابن منظور ، لسان العرب،المرجع السابق ج1 ، ص287.

والأجدر الاحتراز من استعماله حتى لا يلتبس الأمر على العامة إذ الأولى عدم استخدام مصطلحاتهم التي يريدون بها أفكارا معينة ، تم أن المعنى اللغوي الثاني غير معروف لدى الكثير من الناس ، فالشائع أن البشارة الإخبار بالأمر السار.

2. نشأة التنصير و تطوره في العالم الإسلامي :

إن الحروب الصليبية كانت موجهة للانتقام من قتلت المسيح و بالتالي فالديانة المسيحية موجهة لليهود ، وما يؤكد ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يبين فيه أن عالمية الإسلام من الخصائص التي تميز بها صلى الله عليه وسلم عن بقية الأنبياء :[أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر و أسود ، وأحلت لي الغنائم و لم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا و مسجدا ، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر و أعطيت الشفاعة] .[1]

وأول من قال بعالمية المسيحية اليهودي المتنصر بولس الذي سافر من أجل نشر المسحية و عندما اعتنق قيصر روما "**قسطنطين**" المسيحية استخدمها كوسيلة لتبرير طموحاته التوسعية الاستعمارية ومن هنا نشأت حركة التنصير الواسعة[2] .

---

[1] رواه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، (65/3) ، 521.

[2] ويل ديورانت ، قصة الحضارة ، ج1 ، دار الجيل ، بيروت ،1998، ص ص384-387.

وأول احتكاك للمسلمين بالعالم المسيحي كان من خلال الحروب الصليبية * الممتدة بين (489 ه – 690 ه ، 1095م– 1270م) **

والحركة الصليبية هي حملة عسكرية كان للبابا دور كبير فيها ، وأن المشاركين فيها و الذين يتولون قيادتها قد أقسموا على المشاركة ، ونتيجة لذلك فلهم أن ينعموا بالمزايا الخاصة بحماية ممتلكاتهم في أوطانهم ، والحصول على الغفران لما تقدم وتأخر من ذنوبهم ، مع دخول الجنة بغير حساب (In diligence)[1].

لقد كانت هذه الحروب بعد دعوة البابا اوربان الثاني*** في كلير مون**** هي حرب دينية الغرض منها –كما يدعون– تخليص بيت المقدس أو استرجاعها من المسلمين[2] و لم يكن الغرض نشر المسيحية بينهم ولكن اللفظ (croisade) استخدم أيضا في الحرب ضد الوثنيين الأوروبيين.

---

* ظهر مصطلح الحروب الصليبية (crusads) في القرن الثامن عشر الميلادي أما قبل ذلك فقد استخدمت مصطلحات أخرى كل منها يصف مظهرا من مظاهرها ففي أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ظهرت كلمة لاتينية معناها" الموسوم بالصليب "وفي أوائل القرن الثالث عشر الميلادي ظهرت كلمة لاتينية أخرى تعني "الحركة الصليبية' كما استخدمت عبارات أخرى كالحجاج، رحلة الحج، الحملة والرحلة إلى الأرض المقدسة و الحرب المقدسة والحملة العامة، حملة الصليب أو مشروع يسوع أما العرب فكانوا يستخدمون لفظ "الفرنج" أو 'حركة الفرنج' (أنظر قاسم عبدة قاسم ، ما هية الحروب الصليبية ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية والاجتماعية ، (دط) مصر 1993 ، ص13)

** عدد الحروب الصليبية ثمانية وهي: الأولى موجهة إلي بيت المقدس (1095م–1099م) ، الثانية موجهة إلى بيت المقدس (1146م–1148م) ، الثالثة موجهة إلى بيت المقدس (1189م–1192م) ، الرابعة توجهت إلى بيت المقدس لكنهم توقفوا في القسطنطينية وانتزعوها من البيزنطيين (1202م–1204م) ، الخامسة إلى مصر (1217م) ، السادسة إلى بيت المقدس (1228م) السابعة إلى مصر (1248م–1254م) الثامنة إلى تونس 1267م .

*** اروبان الثاني (urban2): (1035م–1099) هو بابا روما (1088م–1099م) وهو الذي دعا إلى مجمع كلير مون للبحث في إصلاح الكنيسة ، وهنا خطب محرضا المسيحيين على الخروج في حملة ضد المسلمين ومن هنا بدأت الحروب الصليبية [أنظر منير البعلبكي ،موسوعة ، ج10 ، ط1 ، دار العلم للملايين ، لبنان ، 1980م ، ص63].

**** كلير مون مدينة في الجزء الجنوبي من وسط فرنسا تقع إلى الغرب من ليون[أنظر منير البعلبكي ، مرجع سابق، ج3، ص40].

[1] جوناثان ديلي سميث ، ما الحروب الصليبية ، ترجمة محمد فتحي الشاعر ، ط1، دار الأمين، القاهرة ، 1999م، ص16.

[2] قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، عين للدراسات ، (دط) ، مصر ، 1993م ،ص13.

كبيرة لتنصير المسلمين وهو ليس أول من اتجه إلى هذا التفكير ولكنه أبرز وأول من خطط لهذا المنهج[1].

وخلال خمسة قرون تصاعد العمل الاستشراقي التنصيري لأوروبا فظهرت جماعات تنصيرية منظمة تقوم أعمالها على الدراسات الاستشراقية ، ثم بعد ذلك وفي 1217م قرر الفرنسيسكان* إنشاء فرع لهم فيما وراء البحار وكان مقرها الرئيسي في فلسطين وفي 1919م اتجهت أعمال الفرنسيسكان إلى مصر تونس والمغرب. كما أنشأ الدومنيكان** مدرسة لتدريب العربية والعبرية والأدب التواتي في تونس[2].

لكن في الحقيقة نرى عدم استجابة المسلمين لأعمال المنصرين بسبب طبيعة المسلمين والإسلام إذ الإسلام يحمي نفسه من خلال منظومته الفكرية والتشريعية والدينية للقرآن. وبظهور حركة الاكتشافات الجغرافية التي قادها البرتغاليون عاد النشاط التنصيري للانبعاث تحت لواء الاستعمار العسكري حيث استخدموا أسلوب الإبادة اتجاه المسلمين وأعطوا أراضيهم للمنصرين ، ومن ثمة بعث العهد الاستعماري[3].

2/ التنصير و الاستعمار : كان القرن 18 عهد استعمار للدول الإسلامية إذ بسقوط الخلافة العثمانية تداعى المستعمرون على الخلافة الإسلامية فأخذت كل دولة ما اقتطعته من نصيب في جزء في العالم الإسلامي وأهم هذه الدول بريطانيا وفرنسا وقد نشطت حركة التنصير في هذه المرحلة واستفاد كل

---

[1] عبد الجليل شلبي ، إرساليات التبشير ، المرجع السابق ، ص145.

* **الفرنسيسكان:** رهبانية أسسها القديس فرنسيس الأسيري عام 1209م وسرعان ما انقسمت على نفسها وفي 1525م نشأت الرهبانية الكبوشية بوصفها حركة إصلاحية ضمن نطاق الرهبانية الفرنسيسكانية وأفرادها تولوا مهمة الأشراف على الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين منذ القرن 15 ولهم نشاط واسع في حقل التبشير [أنظر منير البعلبكي، موسوعة المورد ، المرجع السابق ، ج2، ص16].

** **الدومنيكان:** الرهبنة الدومنيكانية أسسها القديس دومنيك عام 1215م بدأت نشاطها في تولوز بفرنسا وهي أول رهبنة كاثوليكية أخذت على عاتقها التبشير بالعقيدة المسيحية وتميز الدوميكانيون الأولون بثقافة تخطت اللاهوت إلى دراسة أرسطو [أنظر منير البعلبكي، موسوعة المورد ، المرجع السابق ، ج3، ص211].

[2] ستيفن نيل ، مقتطفات من تاريخ البعثة التبشيرية ، المرجع السابق ، ص25

[3] المرجع نفسه ، ص 27.

طرف من الأخر وباستقرائنا لتاريخ التنصير نجد أن المنصرين والمستشرقين كانوا هم من مهدوا الطريق أمام الاستعمار الأوروبي[1].

ولكن في القرن 19 انعكس الوضع وأصبح الاستعمار هو من يفتح الباب أمام الإرساليات التنصيرية إذ يعتبر القرن 19 عصر التنافس الاستعماري الأوروبي على القارة الإفريقية فاستخدم المبشرون أداة لتحقيق الأغراض السياسية الأوروبية[2].

ولقد كان التنافس كبير بين فرنسا وبريطانيا إذ هذه الأخيرة كان لها الحظ الأوفر، إذ قال عبد الجليل شلبي: «وفي القرن الثامن عشر وما بعده ظهر أعظم نشاط تبشيري ، ولا يزال تياره مستمرا، ثم تولى إنشاء الجمعيات المحلية في أوروبا وما لبثت أن امتدت إلى الشرق ، وفي هذا المجال كان لبريطانيا نشاط أوسع نظرا لما كان لها من مستعمرات واسعة في الشرق ، و كان وليم كاري أبا التبشير الانجليزي ، كما كان لول أبا التبشير عامة»[3].

أما بالنسبة لفرنسا فنجد نابليون الثالث لم يشجع بشكل صريح على التنصير إذ طلب من l'archevêque مطران الجزائر أن يهتم فقط بالنصارى الأوروبيين دون المسلمين .

وما كان بهم نابليون هو أن يتعودوا بتقبل الجزائريين الاحتلال الفرنسي وحتى يتسنى له ذلك لم يكن يريد إثارة حفيظة الجزائريين المتمسكين بالإسلام ، لذلك تغاضى عن أعمال المنصرين إن كانت في مصلحة الاستعمار[4].

لكن لافيجرى لم يتقبل هذا الوضع وسافر إلى فرنسا والتقى بالإمبراطور نابليون واستطاع إقناعه بأن يسمح له بالعمل الخيري ، لهذا أرسل المارشال نيل إلى لافيجري رسالة تسمح له بإنشاء دور للأطفال اليتامى والنساء الأرامل والمسنين وهنا نلاحظ تغير الأسلوب إلى الطريقة الغير المباشرة في التأثير على المسلمين وهكذا ركز المنصرون في الجزائر على الأعمال الخيرية كالطب ودور

---

[1] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871م)،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ،2009م،ص13.

[2] مصطفى خالدي ، عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، المكتبة العصرية، بيروت ،(دط)، 1986، ص 144.

[3] عبد الجليل شلبي ، الإرساليات التبشيرية ، المرجع السابق ،ص152.

[4] عبد الجليل شلبي ، الإرساليات التبشيرية ، المرجع السابق ، ص153.

اليتامى وتعليم النساء لذلك أنشأ لافيجري في روما بعثة تنصيرية خاصة بمنطقة الصحراء سنة 1868م تحت رئاسته[1].

وبالتالي فان العمل التكاملي بين الاستعمار والتنصير واضح من خلال الدراسة التاريخية حتى أن أحد المؤرخين وهو **بول لوسور بقر** وبشكل صريح بهذا الارتباط بل يؤكد أن كلاهما لا يلغي الأخر، وإن كان يدعي أن غرض الاستعمار هو الارتقاء الروحي والأخلاقي للمستعمرين وكان استعمار الجزائر بوابة للتنصير في كل إفريقيا وهذا ما أقر به **جورج تويو** أن الأوروبيين لا ينفون هذا الارتباط الوطيد الاستعمار والتنصير ، ولقد سمحت فرنسا بالتنصير سواء في المناطق التي استعمرتها عسكريا كالجزائر أو في مناطق الانتداب كسوريا ولبنان، حيث وجد المنصرون حرية تامة في العمل[2]، ونفس الشيء فعله الاستعمار البريطاني الذي حرص على حماية المنصرين ورفع كل عائق أو مانع أمام أعمالهم إذ عملت على حماية الإرساليات البروتستانتية خاصة سواء كانت انجليزية أم أمريكية أم ألمانية[3].

التنصير و العولمة: لقد اختلف في تحديد مفهوم العولمة إذ هو من المصطلحات حديثة النشأة لذلك تعددت تعريفاتها وكل واحد منها يضبط مظهر من مظاهرها منها:

هي زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الإنسانية من خلال عمليات انتقال السلع ، ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات[4].

كما يعرفها **برهان غليون** بأنها: ديناميكية جديدة تبرز داخل العلاقات الدولية من خلال تحقيق درجة عالية من الكثافة والسرعة في عملية انتشار المعلومات والمكتسبات التقنية والعملية للحضارة يتزايد فيها دور العامل الخارجي في تحديد مصير الأطراف الوطنية المكونة لهذه الدائرة المندمجة وبالتالي لهوامشها أيضا[5].

---

[1] المرجع نفسه ، ص154.

[2] عمر فروخ ، مصطفى خالدي ، التبشير والاستعمار ، المرجع السابق ، ص125.

[3] المرجع نفسه ، ص 118.

[4] عبد الكريم بكار ، العولمة طبيعتها وسائلها تحدياتها ، ط 3، دار الإعلام ، الأردن ، 2002 ، ص12

[5] المرجع نفسه ، ص12.

أيضا وهي نظام عالمي يقوم على العقل الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود ، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية ، القائمة في العالم[1].

وهذه التعاريف تشترك في تحديد النقاط التالية :1- عالمية هذا النظام ، 2- اعتماده على وسائل الإعلام ، 3- انتقال المعارف والثقافات والقيم عبر العالم والسرعة في ذلك لاستخدام وسائل الاتصال الحديثة والمتطورة ، 4- أهمية رأس المال والاقتصاد ودورهما الأساسي في نظام العولمة ، 5- انهيار الحدود الجغرافية والتباعد المكاني من حيث انتقال المعارف والمعلومات أوالتأثر بها وتجاوز الخصوصيات الحضارية والثقافية أو السيادة الوطنية .

أما العلاقة بين التنصير والعولمة فنرى أن العولمة بمظاهرها المختلفة الاقتصادية ، والسياسية والثقافية هي أهم مرتكز يستند عليه التنصير في وقتنا الحاضر لما تمثله من سطوة تصعب مقاومتها خاصة من قبل الدول المتخلفة فالعولمة سواء كان استخدامها بشكل مقصود في عملية التنصير أو أفادتها بشكل غير مباشر ، فتأثيرها على العالم الإسلامي واضح .

فتأثيرها الغير مباشر يكمن في العولمة الاقتصادية التي زادت من فقر الدول المتخلفة وغنى الدول الرأسمالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية إذ استفاد النظام الاقتصادي الرأسمالي هيمنته وانتشاره في صور جديدة مبنية على اقتصاد السوق، وعلى الثورة المعلوماتية وعلى دمج الاقتصاديات الوطنية بالسوق الرأسمالية العالمية بإشراف مؤسسات العولمة الاقتصادية الثلاث التي هي: **صندوق النقد الدولي ،البنك الدولي والمنظمة العالمية للتجارة** وتعني العولمة تعاظم دور الشركات متعددة الجنسيات كما تعني أيضا أثارة المشكلات الاقتصادية وتدويلها مثل: الفقر والأمية والتلوث، حماية البيئة[2].

---

[1] عبد الكريم بكار ، العولمة طبيعتها وسائلها تحدياتها، المرجع السابق ، ص11.

[2] ليلى بيومي ، آليات الهيمنة الأمريكية على مقدراتنا السياسية والاقتصادية ، الفرقان ، العدد 388 ، أفريل2005، ص19.

II. بواعث التنصير و أهدافه :

1. بواعث التنصير في البلاد الإسلامية:

من الواضح أن يكون الباعث على نشر رسالة سماوية ما هو الأمر الإلهي بأن يتوجه المؤمنون إلى نشر عقيدتهم ومحبتهم. الخير لكل الناس وهذا ما ينطبق على رسالة الإسلام ، أما فيما يتعلق بنشر المسيحية فالأمر يختلف خصوصا فيما يرتبط بالعالم الإسلامي.

والنصارى لم يرسلوا البحوث لنشر المسيحية في العالم الإسلامي إلا بعد الحروب الصليبية الحروب التي انتهت بانتصار المسلمين وهزيمة المسيحيين هزيمة نكراء مما ولدا شعورا مزدوجا من الكراهية و الخوف معا من هذه القوة العالمية التي وصلت إلى أواسط أوروبا وهذا الشعور توارثته الأجيال حتى صار شعورا جماعيا ثم تحول إلى عمل مستميت من أجل دحر الإسلام عن أوروبا وملاحقته حتى أفريقيا[1].

وبقي هذا الشعور وازداد أكثر بسبب الأطماع الاقتصادية والسياسية اتجاه العالم الإسلامي فإذا كان الأولون يهدفون إلى وقف انتشار الإسلام فالمعاصرون يهدفون إلى اقتلاع الإسلام من نفوس أصحابه، وما زادا الأمر سوءا هو تجذر فكرة الصراع في الفكر الأوروبي فأخذوا يبحثون لنفسهم عن عدو جديد وبالتالي الخوف من المد الإسلامي لم يعد الخطر وإنما الخوف من وقوف الإسلام في وجه الأطماع التوسعية إذ التاريخ شاهد على ارتباط الاستعمار بالتنصير[2].

وعلى كل حال لكي يحقق هذا الباعث سطرت الحركة التنصيرية أهدافا مرحلية تتحقق بحصولها بواعث التنصير ، يمكننا أن نجملها فيما يلي:

---

[1] مصطفى الشقيري ، ماذا تريد الصليبية الحديثة ، ط1 ، دار التوزيع والنشر الإسلامي ،القاهرة ، 2003 ،ص45.

[2] رفعت سيد أحمد، هذا الشرق الأوسط الكبير ، الهلال ، 2004 ، ص58.

2. أهداف التنصير:

1-الهدف الديني: وهو نشر المسيحية في كل العالم سواء الإسلامي أو غيره من الأقطار الأخرى وهذا نزولا عندما جاء في إنجيلهم ومؤتمراتهم إذ منذ مجمع نيقية إلى الآن وهم يصرحون بضرورة نشر المسيحية[1].

2-وقف الزحف الإسلامي : لقد فزع العالم الغربي من وصول الإسلام إلى أوساط أوروبا وامتداده السريع في كل بقاع الأرض الأمر الذي لم ينطبق على انتشار المسيحية فكان رد الفعل المعاكس هو التنصير مثل ما حدث في الأندلس حيث نصر المسلمون بالقوة ، والذين يرفضون قتلوا أو فروا إلى شمال إفريقيا والتي كانت نصيحة **لويس التاسع** الذي وقع أسير لدي المسلمين فنصحهم بقوله /**لابد من تجنيد المبشرين لمحاربة الإسلام ووقف انتشاره**/[2]

وقد كان المنصرين يحاولون وقف المد الإسلامي ليس في أوروبا فقط بل حتى في إفريقيا السوداء ودول الشرق الأدنى والهند.

إلا أنه بالرغم مما يواجه الإسلام من افتراءات إلا أنه كان أسرع دين ينتشر في أوروبا بالرغم من قلة الإمكانات البشرية والمادية وذلك لكونه دين حيوي في ذاته ويحمل من القيم الأخلاقية والفكرية الكثير.[3] لأن الله تعالي يقول « **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ، ولوكره الكافرون**»[4]

3-الهدف الاقتصادي : يزخر العالم الإسلامي بثروات طبيعية هذا أغرى بعض التجار للعمل بالتنصير، خاصة أن الدولة العثمانية قد أعفت الإرساليات التنصيرية من الضرائب الجمركية خاصة منهم الرهبان اليسوعيين، وكانت الدول الأجنبية تحمي منصريها لأنها تعدهم حملة تجارتها[5]، وقد عدّ التنصير مجالا للاستثمار حيث أنشأت المدارس اللاهوتية التي تكون القساوسة وكل قس بعد ذلك يعمل

---

[1] عمر فروخ ، مصطفى الخالدي ، التبشير والاستعمار ، المرجع السابق ،ص34.

[2] سعد الدين السيد صالح ، الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، المرجع السابق ،ص54.

[3] ممدوح طنطاوي ، الحروب الصليبية الجديدة ، الوعي الاسلامي ، العدد378 ، 1997 ، ص45.

[4] سورة الصف:08.

[5] عمر فروخ ، مصطفى الخالدي ، التبشير والاستعمار ، المرجع السابق ،ص56.

على التنصير حيث يجازى بعمولة عن كل شخص يتمكن من تنصيره ، ومن هنا فالعمل ليس من أجل الدين بل لكسب القوت، حيث في إفريقيا كان الأطفال يؤخذون إلى المدارس التنصير للعمل في مزارع الإرساليات، و في مصر كانت إرادات الإرساليات من الأراضي التي امتلكتها أربعة ملايين جنيه سنويا[1].

وفي أيامنا هذه مع انفتاح الحدود على التجارة الدولية وسهولة الاستثمار عملت الدول الأوربية وأمريكا على استغلال هذا الوضع لإنشاء البنوك والشركات التي تتعامل بالربا وتستغل فقر الناس للاستحواذ على أموالهم[2].

4- القضاء على وحدة العالم الإسلامي : لقد كان الإسلام أمة واحدة رغم امتداده الجغرافي الواسع والمتباين واختلاف أجناسه ولغاته وكانت هذه الأمة يجمعها شعور الأخوة في الدين استجابة لأمره تعالي: «**إنما المؤمنون إخوة...**[3] ».

كما نجد المسلمين قد تمسكوا بكلام الله تعالي خاصة على مستوى العقيدة والعمل حيث قال سبحانه وتعالى:«**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا...**[4] ». فكل هذا أنشأ أمة موحدة ذات حضارة راقية أساسها الدين مما ولد وحدة الشعور التي تولدت عنها وحدة العمل والفعل فلذلك كانت الاستجابة تلقائية للمؤازرة عند الشدائد مهما تباعدت الأقطار ، وهذا نجم عنه الرد الصارم والعنيف على كل ما يمس مقدسات الإسلام سواء الرد سياسيا أو شعبيا[5] فالاتحاد يكسب الأمة هيبة فلا يطمع العدو في إثارة بعض أطرافها على بعض ، وهذا ما لمسه المنصرون وعملوا على القضاء عليه حيث يقول وكيل إدارة البعثات التبشيرية

---

[1] سعد الدين السيد صالح ، الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، المرجع السابق،ص58.

[2] ماجد عبد السلام إبراهيم ، النشاط التنصيري في بنجلاديش أساليب المواجهة ، حولية كلية الدعوة الإسلامية ، القاهرة ، العدد15،ج2 ،2001، ص53.

[3] سورة الحجرات :10

[4] سورة آل عمران :103.

[5] علاء طاهر، العالم الإسلامي في الاستراتيجيات العالمية ،ط1، مركز الدراسات الأوروبية ،دار بلال ،بيروت ،1998،ص183

بروما:« **إن الهدف الذي يتعين على المبشر تحقيقه ، هو تحطيم قوة التماسك الجبارة التي يتميز بها الإسلام** »[1].

فتفرقة العالم الإسلامي ليس هدفا للمنصرين فحسب بل هو عامل مشترك بينهم وبين السياسيين والعسكريين إذ يرى القس سيمون أن الوحدة تساعد على التملص من السيطرة الأوروبية[2].

[1] فوزي عبد القادر الفيشاوي ، التنصير الخطة المحكمة لاحتواء العالم الإسلامي ، المنهل ، العدد 535، 1996،ص24.

[2] عمر فروخ ، مصطفى الخالدي ، التبشير والاستعمار ، المرجع السابق ،ص37.

III. منهج التنصير وأساليبه ووسائله :

1. منهج التنصير :

المنهج لغة مشتق من نهج ويقال : طريق نهج : بين واضح وهو النهج والمنهاج[1].

أما اصطلاحا: هو الأسلوب الذي يرسمه الداعية لتحقيق أهداف يسعى للوصول إليه، ويغرسها في المدعوين وتعيين الموضوعات التي تعطى لكل مرحلة أولكل مجموعة من الناس[2] ومن خلال هذين التعريفين يتضح لنا الطريق العام الذي انتهجه المنصرون لبلوغ أهدافهم وتحت هذا المنهج تندرج أساليب عديدة لتحقيقه ، وكان منهج المنصرين هو الإفراغ و الملئ أو كما يقال الهدم والتثبيت .

وعموما فهذا المنهج هو منهج كل دعوة ومنها الدعوة الإسلامية فالرسول **صلى الله عليه وسلم**- كان يفرغ الناس من عقيدة الشرك ويهدم أفكار الجاهلية ثم يملأ المسلمين بعقيدة الإسلام و أخلاقياته، لكن شتان بين الأسلوب الإسلامي والأسلوب الذي يتبعه المنصرون[3]

إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال تغيير المعتقدات و الأفكار إلا بإفراغ النفس والفكر من المعتقدات القديمة ، لذلك عندما يشكك الشخص في صحة معتقده أو عندما لا يكون ملتزما فهذا يسهل جره إلى أي فكرة أخري والتي يتقبلها لملئ الفراغ.

فالأفكار التي يعمد المنصرون إلى تهديمها هي عقيدة الإسلام المبنية أساسا على التوحيد بمفهوم أن **لا اله إلا الله** في مقابل عقيدة التثليث عندهم ، ثم التشكيك في نبوة الرسول -**صلى الله عليه وسلم**- وهذا له فاعلية كبيرة وبالتالي هدم المنظومة الأخلاقية الإسلامية التي تمثل أحد أوجه الإسلام العملي السلوكي ، وهدم اعتزاز المسلم بدينه ليحدث الوهن والارتباك في المجتمع ، إذ بعد الإفراغ يسهل الملئ والغرب أنشأ حضارة مادية تقوم على فصل الدين عن الدولة وبالتالي لا يوجد مخرج للمسلم إلا بتقليده، وبالتالي نبذ عقيدته التي تؤمن بنظام حياة متكامل ومن تم قبول البديل وهو الدخول في دين محرف، ولا يكون هذا الأ من خلال تهيئة الإنسان فلذلك لبد من إجاد سبب التحول، والظروف الدافعة

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، المرج السابق ، ج6 ، باب النون، ص4554.

[2] محمود محمد حمودة ، محمد مطلق عساف فقه الدعوة وأساليبها ، مؤسسة الوراق ، عمان ، 2000 ، ص53.

[3] المرجع نفسه ، ص 36.

لذلك وهذه العوامل قد تكون على شكل عوامل طبيعية كالفقر والمرض ، الكوارث ، الحروب...الخ أو معنوية مثل التفرقة العنصرية أو الأوضاع الاجتماعية المتدنية[1].

فالإفراغ لا يتم فقط بالغزو الفكري بل أيضا بإفقاد الإنسان الثقة في صحة عقيدته وفي إطار عجزه عن حل مشاكله يقدم له البديل أي يحدث الملئ ، وبعد أن ينصر المسلم فيتم تعميده وإدخاله ضمن المجتمع المسيحي ليحصل له ما يسمي بالنمو الروحي[2].

2. أساليب التنصير :

والأساليب هي الطرق الفرعية التي انتهجت ليتحقق من خلالها المنهج وبالتالي هي أدوات الملئ والإفراغ، ومن الملاحظ أن التنصير لم يترك للحرية مجالا فقد اعتمد على اقتناص الفرص وإتباع منهج الغاية تبرر الوسيلة إذ هدفهم هو إدخال المسلمين إلى المسيحية وهذا ما سوف يوضح فيما يلي:

أ- الأسلوب الوعظي المباشر: أساس هذا الأسلوب هو المناظرة والحوار والنقاش المباشر مع المسلمين بإثارة القضايا الخلافية بين المسيحية والإسلام معتمدين التشكيك في الإسلام والقدح في الرسول **-صلى الله عليه وسلم-** والدعوة إلى عقيدتهم والدفاع عنها، وقد تميز هؤلاء الواعظين بشخصية قوية ومثابرة إذ بالرغم لما تعرضوا له من قتل وإيذاء من المسلمين إلا أنهم ثابروا وتحملوا كل ذلك لكل أسلوبهم هذا لم يسفر عن نتائج ذات أهمية وبالتالي فشل فشلا ذريعا[3] لذلك اقتصر عملهم على تقديم عقيدتهم النصرانية ومحاولة إقناع الناس بصحتها وأنها الأفضل لذلك أصبح الحوار أكثر لينا ودبلوماسية لكن هذا الأسلوب لم يؤثر إلا في بعض الأفراد لذلك عمدوا إلى اعتماد أسلوب أوسع في التأثير وهو استغلال مجال الخدمات الصحية والتعليم المهني الأكاديمي ، والاعتماد على المؤسسات الخيرية كمؤسسة الأيتام وبناء المنازل للمعمدين[4].

---

[1] محمود محمد حمودة ، محمد مطلق عساف ،فقه الدعوة وأساليبها ، المرجع السابق، ص ص 230،229.

[2] المرجع نفسه ، ص235.

[3] جورج بيتر ،نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين ، التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ، دار مارك ، كاليفورنيا ، (دط) ،(دت) ، ص 554.

[4] المرجع نفسه ، ص 557.

ب- **أسلوب الإكراه** : هذا الأسلوب يؤكد دناءة الأهداف المرجوة من وراء عمليات التنصير ومن خلال تتبع تاريخ التنصير يتضح نوعان من الإكراه وهما :

- **إكراه مادي** : اعتماد المنصرين على التنصير القهري من جانبين :

- 1) ما فعله النصارى في اسباني بعد سقوط الأندلس محاولة منهم للقضاء نهائيا على الإسلام في اسبانيا.
- 2) الاستعمار البرتغالي الذي استخدم القوة ، والتعذيب في مناطق من الهند.

- 3) تنصير القصر والأطفال مثل ما فعله الكاردينال "لافيجري" من أقام دور الأيتام أو المختطفين وتربيتهم على العقيدة النصرانية في الجزائر ، وهذا هو عين الإكراه عندما يستخدم هذا الأسلوب ضد أطفال لا يعرفون الحق من الباطل ويفتقرون للنضج الفكري بالإضافة إلى استغلال عجز الأطفال والنساء في الكوارث الطبيعية أو الحروب التي تحدث ضد المسلمين[1].

وكان استهداف الأطفال ليس فقط لسهولة التأثير عليهم وتنصيرهم إنما لأن المنصرين أدركوا العجز الأوروبي الغربي عن التنصير الفعال ، لما يمثله في تاريخ إفريقيا بأنه المستعمر المستبد فلجأوا إلى أسلوب أخر أكثر فاعلية وهو تكوين منصرين إفريقيين من البلاد ذاتها يتكلمون اللغة نفسها وهم من جنس واحد وبالتالي كسر الحاجز النفسي .

كما أنه هناك نوع أخر من الإكراه المادي وهو الإرهاب السياسي كالمساهمة المالية في تحمل نفقات الحرب ونفقات إقامة حكومات محلية مقابل منح الحماية لهم ولعائلاتهم وممتلكاتهم ومحلاتهم ، كما فرضت عقوبات عمن يعرقل العمليات التنصيرية التي تعمل على توسيعها في كل أنحاء العالم الإسلامي[2].

- **إكراه معنوي** : وهو ما يعبرون عنه بالأسلوب الشامل ، والمقصود هنا تعرض الشخص لضغوط نفسية وعقلية تمنعه عن التفكير السليم والسوي ويتم باستغلال حالات الضعف البشري

---

[1] بدر حسن الشافعي ،جيش الرب في أوغندا ، المجتمع ، العدد 1635، 2005م ، ص 36.

[2] مصطفى فوزي غزال ، الحيل والأساليب في الدعوة إلى التبشير ، جدة ، (دط) (دت) ، ص 45.

كالمرض والفقر ، فالشخص هنا يخير بين الموت جوعا أو مرضا أو أن يتنصر ويعيش في رخاء وصحة.

كذلك اقتناص المنصرين لحالات الاضطراب التي تمر بها المجتمعات كالاستعمار والتهجير والاستبداد السياسي والظلم وتوارث الشعوب ؛ فهذه هي عوامل لفقدان التوازن تجعل الدول المستهدفة في مرحلة الضعف وتهيئ الأجواء وتيسر العمل التنصيري[1]

ج- **أسلوب الإغراء المادي** : وهو ضمن الأسلوب الشامل ، حيث تعاني غالبية الشعوب الإسلامية الفقر وسوء الأحوال في جميع الجوانب فالظروف المحيطة بالإنسان تجعله ييأس من تحقيق طموحاته ، واستغل المنصرون هذا فاغروا هذه الشريحة من الشباب بمختلف الإغراءات[2]، كما استهدف المنصرون مناطق العبور في أوروبا حيث يجمع الشباب الذين دخلوا إلى أوروبا دون تأشيرة ويعرض عليهم صراحة التنصير مقابل تسوية وضعيتهم القانونية ، كما أن من يعجز عن الزواج لفقره فيعرضون عليهم من فتياتهم ذوات الجمال الساحر وأما الشابات فيعرض عليهن أرباب الفتوة والجمال من شبابهم[3].

أما من يرغب في التدرج العلمي خاصة المتفوقون منهم فيغرونهم بمنح الدراسة ليعودوا إلى أوطانهم دعاة للنصرانية أو للتغريب في أحسن الأحوال[4].

د- **أسلوب السياقة** : يعد من أخطر الأساليب التي اعتمدتها الحركة التنصيرية أي أن يضع المنصر نفسه في سياق المجتمع الذي يخاطبه ، فيجب أن يتحولوا إلى المسلمين في مظهرهم حتي يصلوا إلى مفاتيح قلوب المسلمين ، فقد يظهرون بأسماء مسلمة ويرتدون الجلابيب ويطلقون ألحي ، والنساء

---

[1] دون م ، ماكري ، تحليل المقاومة والاستجابة لدي الشعوب المسلمة ، للتنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ، دار مارك ،كاليفورنيا 1978 ، ص257.

[2] الفرقان ، الأيدي الخفية وراء تفاقم ظاهرة التنصير في الجزائر ، العدد 236 ، 2003 ، ص35.

[3] مصطفي فوزي غزال ، الحيل والأساليب في الدعوة و التبشير ، المرج السابق ، ص 41.

[4] محمد عبد الله السلومي ، السائحون على الكوارث، المرجع السابق ، ص 68.

يرتدين الحجاب ، كما يؤدون الصلوات مع المسلمين ويصوموا شهر رمضان كما يشاركوا المسلمين في عيدي الأضحى والفطر[1].

ويعد أسلوب قديم إذ استخدم من قبل الآباء البيض إذ كانوا يرتدون لباس أبيض فضفاضا يشبه اللباس المحلي ويضعون طاقيات على رؤوسهم ، وكل هذا ليميتوا الرفض والنفور الذي يستشعره المسلم اتجاه المنصر الغربي[2].

هـ- أسلوب التسلل : هذا الأسلوب لا يحقق نتائج فورية بل على المدى البعيد بغرس البذور التي تأتي ثمارها بعد فترة ، وأدواته كثيرة ومتنوعة منها غرس الكنائس في كل أنحاء العالم الإسلامي نيألفها المسلمون شيئا فشيئا لتصبح مراكز التنصير عند توفر الأجواء المناسبة سواء للدعوة المباشرة أو توزيع المطبوعات التنصيرية والأناجيل المترجمة والتي يعدها المنصرون أفضل وسيلة للتسلل[3].

كما أنه هناك وسائل أخرى أكثر تأثير في وقتنا وهي الإذاعة ، دورات المراسلة ، التلفزيون والانترنت بالإضافة إلى ما يسمى بالمؤمنين مجهولي الهوية وهم المنتصرون الذين لا يعلنون تنصرهم حتى لا ينفصلوا عن مجتمعهم وتأثيرهم بليغا ليس بالدعوة إلى النصرانية إنما بتحريف الفكر الإسلامي، ومزجه بالفكر النصراني[4].

و- أسلوب الاحتيال و قلب الحقائق : نلاحظ أن أهم ما ميز الحركة التنصيرية البروتستانتية هو اعتماد منصريها على الدراسة الدقيقة للكتاب والسنة بغية إيجاد منافذ تمكنهم من زعزعة ثقة المسلمين بدينهم ، وكانوا يبحثون عن منطلقات من القران يرتكزون عليها في دعوتهم أي ما عبرا عنه بالنصرانية الكامنة ، وقد قسم المنصرون الإسلام إلى إسلام الخاصة وهم المتدينون الدارسون للإسلام

---

[1] محمد عبد الله السلومي ، السائحون على الكوارث، المرجع السابق، ص 70.

[2] خديجة بيقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر(1830-1871م)، المرجع السابق، ص 129.

[3] جورج بيترنظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين،التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، المرجع السابق،ص561.

[4] المرجع نفسه ، ص563.

وإسلام العامة الذين يفتقرون للفهم الصحيح للإسلام وهي الطبقة المستهدفة لأنها تأمن بالخرافات والتبرك بالأضرحة[1].

3. وسائل المنصرين :

إذ كانت الأساليب هي أدوات تحقيق المنهج فان المقصود بالوسائل الأدوات التي استخدمها المنصرون لتفعيل الأساليب وتحقيقها ويمكننا تقسيمها إلى ثلاثة أقسام هي : وسائل إعداد المنصرين ، وسائل لتهيئة العالم الإسلامي لتقبل التنصير، وأدوات العمل التنصيري في ذاته وتفعيله من خلال الاحتكاك والدعوة الى النصرنية [2].

أولا : إعداد المنصرين : أدرك المنصرون أن أعمالهم لن يكتب لها النجاح بالاقتصار على جهود بعض القساوسة الذين كانوا يبذلون جهودا فردية بوسائل خاصة وإنما لا بد من عمل منظم ومدروس لأعداد المنصرين وتوفير العدد الكافي لذلك ، والمنصرون نوعان:

- **المنصرون اللائكيون:** وهم الموفدون المسيحيون للعمل في البلاد الإسلامية كالأطباء والمهندسين والأساتذة وغيرهم واعتمد عليهم خاصة في المناطق التي يصفونها بأنها مغلقة أي التي يمنع دخول رجال الدين النصارى إليها كالسعودية.

- **رجال الدين المتخصصون** : وهم القساوسة والرهبان المكلفون بالانتشار في كل أنحاء العالم الإسلامي لأجل خدمة الكنائس والتنصير ،إذ اهتمت المنظمات التنصيرية بتكوينهم[3].

ثانيا : تهيئة العالم الإسلامي : أي إيجاد الأجواء المناسبة ليتمكن المنصرون من إنجاح مخططاتهم ، وهذه التهيئة لا تقتصر على المنصرين فقط ،وإنما هي هدف أيضا لجهات سياسية لتحقيق أطماع توسعية أو اقتصادية أي أن السياسة تهيئ الجو للتنصير عن قصد أو عن غير قصد خاصة وان

---

[1] شاتلي .أ. كراج ،اللاهوت الإسلام والجسور،التنصير خطة لغزو العالم الاسلامي،دار مارك،كاليفورنيا1978 ، ص272.

[2] محمد عمارة ، الغارة الجديدة على الإسلام ، المرجع السابق ، ص 170.

[3] أرثر.ف. كلاسر ، تقرير المؤتمر، التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي دار مارك ،كاليفورنيا 1978، ص 67.

كليهما يتبادلون المساعدة بينهما، وقد اتخذت أوجها عديدة منها : إذكاء الحروب والصراعات ، محاربة الجمعيات الخيرية الإسلامية ، الغزو الفكري ، مجال التغريب[1].

ثالثا : أدوات التفعيل والعمل :

أ/ حوار الأديان : يعد من أهم وسائل التنصير ، إذ يعد أداة تفطن لها النصارى للتقريب بين العالمين المسيحي والإسلامي، ويسمى بالتقارب الإسلامي المسيحي ثم الحوار الإسلامي المسيحي ، وبعد ذلك أصبح حوار الأديان السماوية ثم أصبح أشمل فسمي حوار الحضارات إذ يقصد بالحوار الأديان محاولة الفرد المحمل بقيم وأفكار وعقائد مسبقة استكشاف الأخر المختلفة دينيا وإدراكه و بلورة رؤية فلسفية نمطية إزائه ، دون اللجوء إلى إصدار أحكام قيمية متحيزة ضده[2].

ب/ مجال التعليم والتكوين : يقول المنصر "هنري جسب" مبينا فاعلية هذا القطاع في عملية التنصير أن التعليم في المدارس الإرساليات التنصيرية إنما هو واسطة إلى غاية فقط، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين ، وشعوبا مسحية[3].

فالتنصير عن طريق التعليم يحقق الاستجابة الكمية ، أي التنصير الجماعي لذلك استخدمت هذه الوسيلة منذ نهاية القرن التاسع عشر ففتحت المدارس ، الجامعات ، ودور الحضانة[4].

ج/ القوانين الدولية : مثل ما أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1948/12/10م الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي نص في مادته 18 على حرية الاعتقاد والعبادة حيث تشمل حرية الإنسان في تغيير دينه وعقيدته وحريته في الإعراب عنها ، وبالتالي فهذا القانون جاء ليعطي الشريعة لعمل المنصرين بالرغم من أن هذا القانون يناقض ما جاء في إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام

---

[1] دون ماكري ، حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة ، التنصير خطة لغزو البعالم الاسلامي،دار مارك ،كاليفورنيا، 1978،ص21.

[2] أحمد بن عبد الرحمن القاضي ، حوار الإسلامي النصراني ، البيان ، العدد 184 ،2003 ،ص ص20.21.

[3] عبد اللطيف ، مدارس التنصير في العالم الإسلامي ، الدعوة ، العدد1420، 1993 ، ص 20.

[4] محي الدين الألوائي ، مزالق التحدي العقيدي وسبل التغلب عليه ، مكتب التربية العربية ، الرياض ، 1987، ص 170.

1990م الذي ينص في مادته 10 على أن الإسلام هو دين الفطرة ولا يجوز ممارسة أي لون من الإكراه على الإنسان أو استغلال فقره أو جهله على تغيير دينه إلى دين أخر أو إلى الإلحاد[1].

د/ مجال المرأة :إذ تعد المرأة هي نصف المجتمع فقد جعلت وسيلة لنجاح التنصير بالإضافة إلى دورها المؤثر في الأسرة إذ هي التي تتعهد بتربية وتكوين الأولاد وبالتالي استهدافها يكون تنصير أعداد كثيرة من المسلمين[2].

ه/ تشجيع الهجرة : يضن الجميع أن الهجرة نحو الدول الأوروبية من أصل حاجة هذه الدول لليد العاملة أو لاستقطاب أصحاب النبوغ لكن أهدافهم هي لتنصير أبناء المغتربين إذ يثقفونهم ثقافة غربية لا تخلو من بعض المعتقدات النصرانية[3].

و/ الخدمات الصحية والاجتماعية : إذ تم استخدام الطب كوسيلة ناجحة للتنصير وذلك منذ الحركة الاستعمارية في بلاد الإسلام، فتوالت البعثات الطبية إلى جميع أنحاء العالم كما تم إرسال طبيبات لأن المسلمات لا يقبلن التداولي على أيدي الرجال[4].

ز/ المطبوعات ووسائل الإعلام والاتصال : وهذه الأدوات هي الكراسات الدينية والصحف والرسوم الكرتونية المتحركة، الكتيبات، الكتب والمجلات ودورات المراسلة والنصوص الإذاعية والتسجيلات والمسرحيات ومود القراءة والكتابة وترجمة الكتاب المقدسة والصور[5].(أنظر الملحق رقم)

ومن بين دول العالم الإسلامي التي طالتها هذه الآفة والتي كان لها أثر بالغ فيها الجزائر والتي كانت على يد المحتل الغاصب الفرنسي ، إذ كانت الجزائر الحلم الذي راود فرنسا منذ زمن بعيد ، إذ كانت ترى في احتلالها تمكين لاسترجاع مقر المسيحية القديمة في إفريقيا ، لذا نجد ملوك فرنسا قد شرعوا

---

[1] سعيد محمد أحمد باناجة، دراسة مقارنة حول الإعلان العالم لحقوق الإنسان هو نصوص الميثاق الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والثقافية ،ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1985م، ص 51.

[2] مصطفي خالدي ، عمر فروخ ، التبشير والاستعمار ، المرجع السابق ، ص 203.

[3] عبد الرحمن جمهور،من الظلمات إلى النور ، البيان ، العدد154 ، 2000 ، ص 101.

[4] أ. شانتليه ، الغارة على العالم الإسلامي ، ترجمة محي الدين الخطيب مساعد الباقي ، دار مدني ، الجزائر ،(دط) (دت)، ص40.

[5] ايمونج جويف،الوضع الحالي للمطبوعات،التنصير خطة لغزو العالم الاسلامي،دارمارك ، كاليفورنيا،1978، ص 491.

في البحث عن الأسباب والمبررات لغزو الجزائر واحتلالها منذ مطلع القرن السابع عشر ميلادي، غير أن قوة الجزائر البحرية ، السياسية ، الاقتصادية والعسكرية وقفت حجرة عثرة في طريق المد الفرنسي طوال ثلاثة قرون من الزمن. لكن فرنسا على ما يبدو كانت حريصة أشد الحرص على العدوان على الجزائر خلفا عن سلف لتحقيق مشاريعها الاستعمارية التي طالما حلمت بها في الجزائر ، حيث بقيت تحاول غزو الجزائر إلى أن سمحت الفرصة بذلك ، إذ تضافرت عدة عوامل أضعفت قوة الجزائر ، والتي ساعدت على الغزو الفرنسي لها[1].

كما أن للجانب الديني أثرا كبيرا في احتلال الجزائر ، وهو من الأسباب الهامة التي أدت بفرنسا إلى الغزو بدعوة انقاض المسيحية والمسيحيين من أيدي القراصنة الجزائريين ، حيث كانت فرنسا تعتبر نفسها أكبر بناة الكنيسة الكاثوليكية وأكبر المدافعين عنه ،فهي ترى في احتلال الجزائر أكبر خدمة تقدمها إلى العالم المسيحي[2].

وقبل التطرق إلى المحاولات التبشيرية الفرنسية في الجزائر ، يجدر بنا العودة إلى أواخر القرن الثاني ميلادي حيث كانت بداية اتصال الجزائر بالمسيحية في عهد قرطاج و ذلك عن طريق إيفاد مبعوثين من كنيسة روما إلى قرطاجة ومن ثم فإن كنيسة روما كانت أما لكنيسة قرطاجة ، والتي كان أقدم أسقف معروف من أساقفتها هو "أغريبينوس" الذي عاصر 'ترتوليانوس" وقد حضيت المسيحية آنذاك بإقبال شديد من طرف أفراد الطبقة الاجتماعية خاصة الأهالي إذ التمسوا من تعاليم المسيحية بغيتهم الروحية وطموحهم الاجتماعي وهما أمران لا تتوفر عليهما الديانة الرومانية الرسمية ولا المعتقدات الفلسفية المتافيزقية الهيلينسية[3].

وامتازت الكنيسة الإفريقية بأعلام وضعوا بصمات أصابعهم في تاريخ المسيحية العالمية ، ومن هؤلاء 'ترتوليان' المتوفى في سنة 240م،و"سيبيريان" المتوفى سنة258 م و في عهد هذا الأخير ضاهت

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف ، الغزو الفرنسي للجزائر وموافق أوروبا منه ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب العدد7 ، دار روتابرينيت للطباعة ، القاهرة ، 1999م ، ص 385.

[2] عبد الكريم بوصفصاف ، الغزو الفرنسي للجزائر وموافق أوروبا منه، المرجع السابق ، ص 403.

[3] محمد البشير شنيتي ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ،ص 268.

كنيسة قرطاج كنيسة روما ، وبلغت درجاتها ،كما ظهر أحد العباقرة الذين سجلهم التاريخ في قائمة أعلام الفكر البشري ، وهو القديس "سان أوغستان"* البربري الجزائري المتوفى سنة 430م.

وكان المذهب المنتشر هو المذهب الراهب "دوناتيس"** الذي دعى إليه سنة 305م بمدينة كازانورا (الديار السوداء) بالقطر الجزائري شمال الأوراس وهذا إبان الاستعمار الروماني للجزائر[1].

ومع الفتح الإسلامي للجزائر (المغرب الأوسط) سنة 674م اعتنق السكان الدين الجديد ، ويعتبر المسيحيين اعتناق البلاد الإفريقية للإسلام جناية عظمى لا تغتفر ، فهي التي تسببت في قطع الصلة بين سكان إفريقيا المسيحية وكنيسة روما العالمية ، وهذا من أعظم المناكر في نظر المتقدمين والمتأخرين منهم ولهذا أجهد الفرنسيون أنفسهم خاصة رجال الدين في التنقيب عن آثار الكنيسة المسيحية في الشمال الإفريقي ، حيث عملوا على إبراز مآثرها وأعلامها ؛ وتمسكوا بشدة لبعثها من جديد فجهزوا المال والرجال للعمل على القضاء على الدين الإسلامي في شمال إفريقيا بصفة عامة ، وفي الجزائر بصفة خاصة[2].

وكانت الجزائر المسلمة كسائر البلدان الإسلامية محط أنظار لبلدان أوروبا المسيحية، وكانت عودة التبشير المسيحي إليها ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي ، أي بعد سقوط الأندلس وخروج المسلمين منها ، واتخذت هذه العودة عدة أوجه منها :

أ/ التبشير عن طريق الحروب الصليبية : التي تم التطرق اليها في الفصل الأول من حيث تعريفها ومراحلها ، وقد عرفها الجزائريون قبل الاحتلال الفرنسي لبلادهم مرتين ، **الأولى** عندما

---

* سان أوغستان هو من مواليد تاقست (سوق أهراس)، وصل إلى القمة في الحياة الفكرية في إفريقيا المسيحية، انتقل من مسقط رأسه إلى قرطاج ليكمل تعليمه، وقد خلف ما يزيد عن مئتي كتاب باللاتينية، وأطلق على عصره اسم عصر الأقوسطيني ومن أهم مؤلفاته مدينة الله ،أنظر: Gaid mouloud, les Barbers dans l'histoire (de la préhistoire à la Kahina). Tome1. Editions mimouni, 1990 p 157.

** دونا تيس هو مؤسس المذهب الدوناتي في الجزائر.

[1] المهدي البوعبدلي ، أثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي، المجلد الثالث، منشورات وزارة التعليم الأصلي، قسنطينة 1975 ، ص 1325.

[2] عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ج4 ، ط6 ، دار الثقافة، بيروت ،1983 ، ص 132.

انتقلت هذه الحروب إلى تونس وحصار ملك فرنسا لها وحينئذ استنجد ملك تونس المستنصر بالله الحفصي بصهره محمد بن عبد القوي الجزائري أمير الونشريس ، كما أرسل ملك بجاية جيشا من السكان القبائل الصغرى والكبرى[1].

أما الثانية فعرفها الجزائريون مع الحملة الاسبانية على مدن الشواطئ الجزائرية الغربية ، في بداية القرن 16م ، أي سنة 1505م ، وكان قائد هذه الحملة الكاردينال 'كيمونس دي سيسزوس' الذي حول بعد احتلاله لمدينة وهران مسجدين إلى كنيستين[2](انظر الملحق رقم).

ب/ التبشير عن طريق إرسال المبشرين في أوقات السلم: وهو التبشير الصريح بين صفوف المسلمين عن طريق إرسال المبشرين إليهم من أوروبا ، وتزعم هذه المسلك الجديد 'ريمون لول" إذ التجأ إلى تونس محاولا أن يبرهن أن محمد-**صلى الله عليه وسلم** لم يكن نبيا حقيقيا فأودع السجن بافترائه هذا من طرف أمراء تونس وبعد إطلاق سراحه انتقل إلى التبشير في الجزائر إلا أنه لم يحقق ما جاء من أجله ، وكانت نهايته في بجاية في 1315م وبعد ذلك منع الباباوات من القيام بأي عمل تبشيري بين المسلمين.

ج/ التبشير المستتر تحت غطاء افتداء الأسرى : لما آلت كل المحاولات الأولى إلى الفشل ابتدع هذا الأسلوب الجديد ، أذ أن الدولة الجزائرية العثمانية كانت سيدة البحر الأبيض المتوسط لعدة قرون، وكان بحارتها يغيرون على السفن ويأسرون في الغالب ركابها ولا يطلق سراحهم إلا بدفع فدية، وبحكم هذا الظرف وتحت غطاء افتداء الأسرى[3].

وفد المبشرون إلى الجزائر لمساعدة أسراهم روحيا وماديا مثل الآباء الثالوثيين و اليسوعيين ، وكذلك مختلف الهيئات البروستانتية[4].

---

[1] محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر(1830-1904)، مطبعة دحلب ، الجزائر، 1997 ، ص 20.

[2] جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا(1619-1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1987 ، ص 16.

[3] سلفاتور بونو ، وضع الجاليات الأوروبية في المغرب العربي قبل الاستعمار ، مجلة الأصالة ، العدد 25 ، 1975 ، ص 139.

[4] وليام سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية ، مؤسسة الوطنية ، الجزائر ، ص 131.

وبمرور الزمن استقر رجال الدين المبشرين في المدن الساحلية كوهران ، تلمسان ، بجاية ، عنابة،... يتمتعون بحرية ممارسة طقوسهم الدينية ، وكانت لهم كنائسهم ومقابرهم الخاصة[1].

ومنذ1602م بدأت محاولات التبشيرية الفرنسية بواسطة إرسال الجمعيات التبشيرية منها :

جمعية آباء لامرسي ، حيث قام ب 73 رحلة إلى مدينة الجزائر ، حاولوا فيها تعليم الإنجيل للمسلمين ولكنهم فشلوا ، وجمعية اللازريين بقيادة"سان فونسان دي بول" سنة 1661م والتي تحصلت على سلطة دينية حقيقية ، ولم تنجو الجزائر من المحاولات التبشيرية قبل الاحتلال[2].

وبالرغم من فشل محاولاتهم التبشيرية إلا أنهم نجحوا في تعاملهم مع قضية افتداء الأسرى لمدة سنين طويلة الذين أصبحوا في طليعة الجيوش الاستعمارية في البلدان المراد السيطرة عليها ، لأنهم عرفوا الكثيرمن الامور عن الشعب الجزائري كبنية الاجتماعية ، وفئاته ولهجاته[3]

هذا ما سهل للحملة الفرنسية الاستعمارية فيم بعد مهمتها ، حيث كانت السلطات الفرنسية تشجع زيادة توغل المسحيين اقتصاديا وديموغرافيا ، وأصبح وجود رعاياه يمثل صكوك ضمان لحق التوسع الاستعماري[4].

ومن ما تقدم يتضح أن المد الفرنسي في الجزائر في مطلع القرن 19م لم يكن يرمي إلى أهداف تمدنية أو إنسانية ، وإنما كان مصحوبا بأغراض أخرى سياسية ، اقتصادية ، دينية وهذا الأخير ما يهمنا في دراستنا. ولقد كان العامل الصليبي دافعا محرضا وهاما لصالح الحملة الفرنسية كما كان في الحروب الصليبية القديمة[5].

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، ص 148.

[2] شكيب أرسلان ، حاضرة العالم الإسلامي ، المجلد1 ، ج1 ، ط3 ، دار الفكر ، 1971 ، ص 366.

[3] إبراهيم حركات ، مراحل الانحراف العقائدي في الإسلام . الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي ، مجلد4 ، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر، 1995، ص 290.

[4] سلفاتور بونو ، وضع الجاليات الأوروبية في المغرب العربي ، المرجع السابق ، ص 152.

[5] محمد زرمان ، معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ الإبراهيمي ، مطبعة قرفي ، منشورات جامعة باتنة ، ص 103.

فها هو الكونت كليرمون تونير –وزير الحربية– يرى أن الحملة ضرورة ، وممكنة الوقت نفسه ، فجندت الكنيسة الكاثوليكية ألاف المتطوعين لهذا الواجب المقدس ، واجب التحريض والتعبئة الدينية ضد الكفار (المسلمين) ، فاندفعت جحافل المتنصرين مترافعة خطوة بخطوة من أول يوم ثم الإعداد فيه للحملة[4].

[4] صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من (1830–1963)، ج1 ، الزيتنة للإعلام والنشر الجزائر ، 1989 ، ص 66.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: الاحتلال الفرنسي للجزائر وبداية سياسة التنصير

I. النزعة الدينية عند المسؤولين الفرنسيين أثناء الحملة :

منذ بداية القرن 19م تعددت مساعي الدول الأوروبية ، وتزايدت أطماعها لإخضاع الدول المغربية حيث ترسخت لدى هذه الدول فكرة ضرورة القضاء على دار الجهاد مدعية أن الجزائر تلجأ إلى محاربة المسيحية في كل مكان مما يوضح مدى الحقد والعداء الذي يكنه الغرب الصليبي للاسلام والمسلمين،وتجسد هذا في الحلف الصليبي لمؤتمر فينا 1815م ، واكس لاشبيل 1818م بحجة تحرير المسيحيين الموجودين بالجزائر وتحطيم قوة الأسطول الجزائري الذي كان يحمل لواء الإسلام في البحر الأبيض المتوسط مما أظهر بوضوح النزعة الصليبية والتضامن المسيحي ضد الجزائر والخلافة العثمانية[1].

وهكذا اتفقت الدول الأوروبية منذ المؤتمرين على مبدأ القضاء على دار الجهاد ، لكن الداي حسين رفض بإصرار شديد إمضاء الوثيقة التي قدمت له بهذا الشأن وأصر على حقه في حرية التصرف.

لكن في الحقيقة أنه منذ 1791م إلى 1830م أصبحت الجزائر تعاني الانحطاط والانحدار في مختلف المجالات ، وازدادت مصالح فرنسا وأطماعها الاقتصادية وأصبح تفكير ما في احتلال الجزائر جديا واتخذت من حادثة المروحة ذريعة لاحتلالها ، وقد كان "دوفال" من الداعين بإلحاح شديد

[1] صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (414ق م ، 1962)، دار العلوم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002م ، ص130.

لاحتلال الجزائر وجعلت حادثة المروحية مشهد للقضاء على دار الجهاد وفتح المجال لانحراف الكنيسة ، ومحاربة الإسلام ونشر الفساد في مختلف أرجاء البلاد[1].

وفي 5 جويلية 1830م وقع الداي معاهدة الاستسلام التي حررها قائد الحملة 'د يبرمون" والتي تنص في بندها الخامس على احترام السلطات الفرنسية للأملاك والنساء ، والديانة الإسلامية ومقدستها واحترام كل شيء يرمز للدين الإسلامي[2].

وبعد سقوط الجزائر بأيدي الفرنسيين نجد 'دي برمون" يسرع لإقامة الصلاة بالقصبة بدافع التعصيب الديني الذي أصبح ذريعة يتخذها المسؤولون لتبرير كل ما يقومون به ، وهذه النزعة مردها عودة الملكية إلى العرش الفرنسي سنة 1815م وتعزيز الكنيسة وإرجاع رجال الدين ، كما تعود إلى تأثر المجتمع الفرنسي بالكاتب "شوطوبريان" عندما نشر كتابه "عبقرية المسيحية" فظهرت عدة منظمات مسيحية للدفاع عن الدين المسيحي وتسهيل عمل المبشرين[3].

وكان للوازع الديني بعض التأثير على موقف الملك "شارل العاشر" من الحملة الفرنسية ضد الجزائر حيث أعلن بوضوح في خطاب العرش الملكي بتاريخ 02مارس 1830م قائلا:"إن الهدف الذي يعمل على تحقيقه من الحملة الفرنسية يجب أن يرضي شرف فرنسا ، ويرجع بفضل العناية الإلهية بالفائدة على المسيحية[4] ".

---

[1] الحاج أحمد الشريف الزهار ، ذخائر من المغرب العربي ، تحقيق أحمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص 146.

[2] خديجة يقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871م)، المرجع السابق، ص 20.

[3] عبد الجليل التميمي ، من ملامح التفكير التبشيري عند المسؤولين الفرنسيين في القرن 19م في الجزائر ، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي ،منشورات وزارة التعليم الأصلي،قسنطينة،1975، ص 994.

[4] المرجع نفسه ، ص995.

لكن بعض الكتاب الفرنسيين يرون أن هناك خلاف بين نوايا وأهداف رجال الدين وبين المسؤولين الفرنسيين في الجزائر ، إذ إن هؤلاء كانوا لا يريدون إطلاق العنان لرجال الدين لينفذوا مخططاتهم بين المسلمين ، كما أكدت الحكومة إن الهدف من إنشاء الكنيسة وتعيين رجال الدين إنما هو لخدمة المستوطنين الأوروبيين ، وليس لاستعادة المسيحية القديمة وإثارة مشاعر المسلمين ، ويرى الكتاب أن الجنرالات كانوا غير متدينين وأن الجمهورية الثالثة قد فتحت النار على الكنيسة ، وعملت على فصل الدين عن الدولة و أرغمت رجال الدين على تقليص نشاطهم ، بالنظر إلى هذا نجد أن السلطة الحاكمة غير متدينة والتسامح والحرية العقيدة هو شعار الحكم الفرنسي ، لكن بالنظر إلى مسيرة الاحتلال يتضح لنا أن السلطة الزمنية والدينية غير محددة لدى الحكام الفرنسيين في الجزائر[1].

وبالإطلاع على ما كتبه بعض العسكريين والمدنيين ممن عملوا في حقل التبشير ندرك مقصودهم بالحرب "فالحرب عندهم هي الوسيلة المثلى لتبليغ الرسالة ولقلب الأوضاع بقصد الخلاص في الدنيا والآخرة رغم كل ما يرافقها من مصائب ، بل ربما من أجل تلك الصائب في حد ذاتها" ومن بين هؤلاء الكولونيل "لامور يسيير" وهو من أتباع سان سيمون المتحمسين ومن من يمثل النزعة المتشددة في الاستعمار الفرنسي ، إذ كتب يقول:« إن الحرب عمل تبشيري ضد قوم لا ينفع معهم الكلام المعقول إلا إذ كان معززا بالحرب[2]».

ومنذ أن قدم الكولونيل "كليرمون تونير" لشارل العاشر تقريرا لإقناعه بالموافقة على الحملة ضد الجزائر بدى الدفاع الديني قويا في أدهان المسؤولين الفرنسيين إذ يرون أن الحملة ستحقق انتصار

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي من(1830الى 1954)، ج6 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1998 ، ص 150.

[2] مصطفي الأشرف ، الجزائر الأمة والمجتمع ، ترجمة حنفي بن عيسى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983، ص 265.

الكنيسة الكاثوليكية على الإسلام واستعادة المسيحية إلى افريقية كما كانت من قبل ، وهنا نلمس الروح الدينية التي كانت تقود رجال الدولة الفرنسية التي لا تكاد تختلف عن الروح التي قادة إيزابيلا وفرديناند في الأندلس ثلاث قرون قبل ذلك[1].

لقد كان للبعد الصليبي دورا هاما في التحريض للقيام بالحملة الصليبية واستمرار هذا البعد عند من جاء من الجنرالات ، وعلى رأسهم بور مون ، كلوز يل ، بيجو ، راندوند ،...الخ

وأقيم القدس الأول على يد القس "شارل زكار" الداعية المعروفة والملازم لبرمون ، وتولية العسكريين للشؤون الدينية قبل مجيء " دوبوش" ، وإقامة القديسات بعد معارك النصر لشكر الله على نصرهم ضد الكفار المسلمين وإحاطة القساوسة بالأبهة وإدخالهم مراكز نشاطهم بصحبة الفرق العسكرية[2].

مثل ما فعله المارشال" بيجو" حيث نصب الإخوة لاتراب في اسطاوالي سنة 1843م ، وبناء دير لهم وكان يلزم أن لا تخلوا الحفلات الدينية من عنصر عسكري ومدلول حربي.

كما قام في سنة نفسها" دوفيفي "بنشر رسالة خصص معظمها لنظام بيجو في التعمير العسكري ، كما أعرب فيها عن ارتياحه لاستقرار طائفة لاتراب بالجزائر وأهمية الدور الذي يمكن أن تقوم به في المستقبل في مجال إصلاح النفوس وصرح أنه هناك مشروع أخر سوف يرضي المشاعر النبيلة لدى الفئة الصالحة من أمتنا إذ تواصل العمل فيه إلى أن يتم احتلال الجزائر نهائيا وهذا المشروع ديني وأخلاقي محض يتعلق بإدخال الحضارة إلى الشعوب الإفريقية التي تنبثق من أخلاق المسيح ويضيف

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ص 106.

[2] المرجع نفسه ، ص 106.

قائلا:" إذا شئنا أن نحضر الشعوب فما علينا إلا أن ننشر أفكار الإنجيل وأن نتأمل جيدا في هذا الأمر إن الأفكار هي التي سوف تضمن لنا السيطرة لأن سلاحنا في هذه الحرب هو سلاح الأفكار"[1].

إذ نجد أن العسكريين هم الذين داسوا على اتفاقية 05 جويلية 1830م ، وأقاموا صلاة دينية في القصبة بعد أسبوع من عقد المعاهدة ، كما بدأت صلاة مسيحية في كنيسة نوتردام شكرا للعناية الإلهية على الانتصار ، كما أمر شارل العاشر بوضع الصليب على مبني المدينة الشيء الذي جعل أساقفة الجزائر يحلمون بإعادة الكنيسة الإفريقية[2] ، كما ألغوا الأعياد الدينية الإسلامية وهدموا المساجد والمؤسسات العلمية والثقافية وذلك من أجل تدمير المقاومة والجهاد التي شكلت الروح الإسلامية باعتبارها الأساسي ، كما قال الجنرال" لامور يسير": "لما انتصرنا في الجزائر أخذنا المدارس لنجعلها مخازن وثكنات واصطبلات ووضعنا أيدينا على أملاك المساجد والمعاهد". كما وصف مفتش التعليم "لوبيشو" كيفية تعامل الحملة مع مؤسسات الأمة المقدسة قائلا: " كم من كتاب دمر وشتت من جراء الاحتلالات المتعددة للمساجد...، إن المخطوطات التي يعتمد عليها في التعليم دمرت"[3](انظر الملحق رقم1).

كما نجد بعض المسؤولين الفرنسيين أو الحكام العامين في الجزائر يقفون في وجه رجال الدين ، حيث اتسمت سياستهم بالحيطة والحذر لكل ما يمس بالمعتقدات الدينية أمثال' بيجو' في بداية عهده ، وآخرين فالحكم في البداية الاحتلال ملكي ثم إمبراطوري ، ثم جمهوري ويرجع ذلك إلى بعض العوامل منها :

1- تعهد الفرنسيين باحترام الدين الإسلامي ، حتى وان نقضوا ذلك في بعض الجوانب.

---

[1] مصطفى الأشرف ، الجزائر الأمة والمجتمع، المرجع السابق ، ص ص275،276.

[2] عبد الجليل التميمي ، من ملامح التفكير التبشيري ، المرجع السابق ، ص 997.

[3] صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من (1830-1962) ، المرجع السابق ، ص 68.

2- أدراكهم أن الجزائريين تثيرهم قضايا التنصير.

3- مساعدة المبشرين على العمل مع المستوطنين الأوروبيين ، وتلقين الديانة المسيحية لأبنائهم لا لأبناء المجتمع الجزائري المسلم[1].

لذلك اختلفت مواقف بعض المسؤولين الفرنسيين ، واتسمت بالتذبذب ، وعدم الاستقرار وكثيرا ما طرأت عليها تغيرات حسب الظروف السياسية التي تمر بها الدولة الفرنسية من فترة إلى أخرى ، إذ نجد بعض المسؤولين الفرنسيين أمثال' جونتي دي بوسي' الوكيل المدني بالجزائر ، والملك" لوي فليب" والمارشال 'فالي" من أنصار التبشير في الجزائر وقد اظهروا عطفا وتشجيعا كبيرين على الإرساليات التبشيرية[2].

[1] محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر(1830-1904)، المرجع السابق ، ص 20.

[2] عبد الجليل التميمي ، من ملامح التفكير التبشيري ، المرجع السابق ، ص 1000.

II. دور الكنيسة في التمكين للنظام الاستعماري الصليبي:

تعد حركة التنصير من أخطر الحركات التي واجهها العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر وازداد خطرها عندما ارتبطت في القرن 19م بالنظام الاستعماري التي فرضت على جل العالم الإسلامي وتعود أمور التنصير المسيحي في كل بلاد من العالم إلى الفاتيكان ، حيث تخضع الجمعيات التنصيرية الكاثوليكية لسلطة البابا في روما ، فهو الذي يقوم بالموافقة على قوانينها ونظمها ، وتعد مهمة الإشراف على هذه الجمعيات إلى المصلحة المسماة "الجمعية المقدسة لنشر الإيمان[1]".

أما ما يتعلق بالجزائر فإن كل البابوات الذين تعاقبوا على كرسي البابوية رأو في عودة المسيحية إلى هذه البلاد أمرا ضروريا ، فهي من جهة تعتبر بمثابة القاعدة التي ينطلق منها المبشرين نحو أقطار إفريقيا السوداء ، ومن جهة أخرى القناة التي يتسرب عبرها المبشرين لمحاربة الدين الإسلامي ، لكن كانت سلطات الفاتيكان على بينة بالأوضاع في الجزائر منذ سنة 1827م وذلك بواسطة قنصلها المدعو "بيلوزو" وبعد الاحتلال مباشرة حاولت هذه السلطات أن تمسك بزمام الأمور ، فيما يتعلق بتسيير شؤون الديانة المسيحية في البلاد[2].

إلا أن حقيقة ارتباط الكنيسة بالاستعمار ما يزال في حاجة إلى دراسة علمية دقيقة ، تعتمد على وثائق الكنيسة ، ووثائق الإدارة الفرنسية الاستعمارية ، كما نجد أن المؤرخين الأوروبيين الذين كتبوا عن التاريخ بلدان المغرب في القرنين 19م و20م لم يتحدثوا عن علاقة ودور كنيسة في تدعيم أسس النظام الاستعماري ، فهذا الصمت يعتبر مقصودا مثل ما فعل شارل اندري جوليان في كتابة "تاريخ

---

[1] الحبيب الجنحاني ، حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب خلال القرن 19م ، الملتقى الفكري السابع للتعرف على الفكر الإسلامي ،منشورات التعليم الأصلي،قسنطينة،1975، ص 1054.

[2] محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر. المرجع السابق ، ص 200.

الجزائر المعاصرة" حيث تعرض في صفحات قليلة وبحذر واضح إلى دور الكاردينال لافيجري بالرغم من الدور الخطير والأساسي الذي لعبه في الفترة التي يعالجها الكتاب.

عند تتبعنا لمسار الاحتلال لأجزاء العالم الإسلامي ، نلاحظ أنه لم يسبق بتسرب اقتصادي ولا نفوذ سياسي فحسب بل مهد إليه تسرب ديني تبشيري ، فجل الاتفاقيات التي فرضتها الدولة الأوروبية مع الباب العالي والتي تنص على الحقوق التجارية والسياسية للدول الأوروبية تطالب بالحرية الدينية للأقليات الأوروبية الخاضعة للدولة العثمانية ، كما استغلت الأراضي المقدسة لفرض سيطرتها على العالم الإسلامي ، وهذا ما جعل الكنيسة تسير في مقدمة الزحف الاستعماري الفرنسي على أقطار المغرب العربي ، وجعل احتلال الجزائر في 1830م[1].

فلقد كان للجانب الديني في احتلال أثر كبيرا على الحملة ومنظميها حيث يرجع الغزو الفرنسي على الجزائر إلى إنقاذ المسيحية والمسيحيين من أيدي قراصنة الجزائر باعتبار فرنسا حامية الكنيسة الكاثوليكية ، واستخدمت هذه الأخيرة في تبريرها لمناصرتها للسياسة الاستعمارية الأساس النظري القائل إن العالم خلق لجميع الناس ، ولا يستطيع أي شخص أن يضع عراقيل أمام بلوغ الإنسان العالم[2].

إذ الإنجيل يأمر قائلا : "اذهبوا وعلموا جميع الناس" وبالتالي لا يمكن لأي شخص أن يعرقل الدعوة التبشيرية لدين المسيح ، فقرار شارل العاشر في الغزو كان مدفوعا من الأسقف الكبير وزير الشؤون الدينية "فريسينوس" الذي خاطب "مولاي! كم من كرامة قد اجتمعت في واحدة أي موضوع أحق باعترافنا بالجميل وبإعجابنا غير الذي يقوم به اليوم جلالتكم في بيت إلاله ، وعلى أقدم هيكل

[1] الحبيب الجنحاني ، حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب ، المرجع السابق ، ص 1057.

[2] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871م)، المرج السابق، ص 17.

مريم إن فرنسا قد انتقمت لنفسها وأدركت أنها يمكن أن تعتمد عليك مرة أخرى ، سواء في إعلاء مجدها أو تحقيق سعادتها... لقد انتصرت الإنسانية على البربرية والصليب على الهلال ، إن قفار إفريقيا تتردد فيها الآن أناشيد الإيمان... أهكذا أعان الآله القوي الملك المسيحي الفتح الذي طلب عونه ، إن يده معك يا مولاي! فلتزد روحك الكبيرة يقينا إن تقتكم في عون القديس وفي حماية مريم أم الإله ، لكم لن تذهب سدا "[1].

كما عبر كليمون تونير وزير الحربية في تقرير قدمه لشارل العاشر في 14 أكتوبر 1827م عن أماله في تنصير الجزائر قائلا : "يمكن لنا في المستقبل أن نكون سعداء ونحن نمدن الأهالي ونجعلهم مسيحيين ، كما يرى أيضا أنه ليس من الغريب أن تكون العناية الإلهية مع الملك لأن عمله هذا في سبيل الدين"[2].

فالعامل الديني في الاحتلال نلمسه من أدوار بعض رجال الدين الذين كانوا متحمسين جنبا إلى جنب مع الجنود في حرب مقدسة في نظرهم هي الإعلاء كلمة الله ونشر الحضارة فنجد مثلا في هذا المقام "لويس فيو"الذي ما كاد يطأ أرض إفريقيا كمسافر عادي حتى أحس بنفسه بطلا مغوار حيث قال : "كم كنت أتمني في هذه اللحظة أن ألبس بذلة جنودنا وأن أحس بالسيف يقارع ركبتي انه سيف الله نضرب به عدوه". كما طلب من البابا" كليمنت الثامن" ومن رجال الكنيسة الإفريقية وكبار الصليبين من "غود فروا ي دي بويون "الى" سان لويس" يطلب منهم أن يباركوا الجندي الفرنسي وأن يشدوا أزره في غزو الجزائر[3].

---

[1] صالح عوض ، معركة الإسلام والصالبية في الجزائر من (1830-1962) ، المرجع السابق ، ص 177.

[2] خديجة يقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871م)، المرجع السابق، ص 18.

[3] مصطفي الأشرف ، الجزائر الأمة والمجتمع ، المرجع السابق ، ص 272.

وهناك مسافر أخر هو "بوجولا" فقال:"إن الله من أسمائه الحسنى ، إله الجيوش وإله المعارك... والمجتمعات لا تقوم إلا على الدماء والدموع... إن الهدف من حربنا في إفريقيا هو أقدس وأسمى من حروبنا في أوروبا ، وموضوع الصراع هنا هو القضية المقدسة قضية الحضارة ، قضية الأفكار المسيحية الخالدة التي كتب الله لها أن تؤسس إمبراطورية عالمية وسخر لها العبقرية الفرنسية لتكون لها سندا قويا"[1].

ونجد توطئ بين الكنيسة والحكومة الفرنسية ، إلا أن الواقع يظهر لنا وجود تناقض بينهما يكمن في مبدأ فصل الدين عن الدولة ، وسياسة الحكومة اللائكية في فرنسا والتعاون المتين بين الكنيسة والإدارة الاستعمارية في المستعمرات الفرنسية لكن نجد أن سياسة الدول اتجاه الكنيسة في المستعمرات لا تدع مجال للشك باعتمادها على الكنيسة ورجالها ، ولقد قبلت الكنيسة هذا الدور بالرغم من موقف الدولة تجاهها في فرنسا نفسها لأنها تمكنها من تحقيق أهدافها السياسية والدينية التي تتحد مع أهداف النظام الاستعماري[2].

ومن هنا يتضح لنا الصلة الوثيقة بين الكنيسة والحكومة الفرنسية إذ كلتيهما يكمل وخدم الأخر ومهد له الطريق ، إذ بعض رجال الكنيسة يسخرون الدين في خدمة الاستعمار وتدعيم أركانه محاولين طمس الثقافة الوطنية وتدعيم ثقافة المستعمر ، أملين للوصول إلى التسرب العقائدي والكنيسة لا تنكر خدمتها للمستعمر إذ أنها سكتت عن مظالمه ومفاسده وتحريضها له على التمادي في الظلم والطغيان[3].

إذ الكنيسة في الجزائر سارت في ركاب الاحتلال وتلاحمت معه جسما وروحا ، وأذعنت في طواعية للوحشية البربرية التي قام بها الغزاة والمستعمرين ، إذ لم يكفيهم دخول البلاد بل مضوا إلى

---

[1] مصطفى الأشرف ، الجزائر الأمة والمجتمع ، المرجع السابق ، ص 273.

[2] الحبيب الجنحاني ، حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب ، المرجع السابق ، ص 1058.

[3] محمود بوزوزو ، ماذا تريد الكنيسة الفرنسية ، مجلة المنار، العدد 11 ، 1952 ، ص ص 1،2.

قلب أوضاع هذه البلاد ، وهذا ما يفسر تركيز جهودهم على الإسلام ومقدساته ولا غرابة في ذلك فالمعروف من القوانين الدينية للفروسية الغربية التي زحفت إلى المشرق في الحروب الصليبية القديمة هي : إن تصدق كل تعاليم الكنيسة وتمتثل لأوامرها ولو أدى بك إلى الاستشهاد لتدخل الجنة ، وأن تحمي الكنيسة وتبذل ما تستطيع من مال في سبيل نصرتها ودعمها ،كما تشن على الكافرين (المسلمين) حرب لا هوادة فيها ، فقد كان رجال الدين هم الدماغ المفكر والمخطط ، ورجال العسكر هم الذراع المنفذ والمدمر[1].

[3] بسام العسلي ، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1982م ، ص 44.

III. الخطوات الأولى للحملة التنصيرية مابين 1830- 1837م :

لم تكن الجزائر بلدا غريبا عن الجمعيات التنصيرية ، فالكثير منها ممن استقرت فيها بعد الاحتلال سبق لها الإقامة فيها (كالذين جاءوا من أجل افتداء الأسرى) قبل 1830م.

فقد كانت الجزائر العثمانية نيابة أسقفية قبل الاحتلال ، لكنها تعطلت عند انقطاع العلاقات السياسية مع فرنسا سنة 1827م[1].

وبعد احتلال الجزائر 1830م عاشت الكنيسة ظروف قاسية ، وخاصة بعد السنوات الأولى منها فلقد ضرب الثوار أبرشية باريس ومركز اليسوعيين ، ودار الإرساليات التنصيرية ، وهدد أسقف باريس بالموت واضطر العديد من رجال الدين إلى الهجرة الخارجية ووصل الأمر إلى أن أصبح رجال الكهنوت لا يخرجون إلى الشوارع بملابسهم الدينية إذ وصف مبشر انجليزي حالة الكنيسة لما زار الجزائر في ربيع 1831م قائلا:"انه يصعب على الإنسان تقديم صورة للكفر الذي ساد البروتستانت منهم والكاثوليك"[2] فراسل المعمرون ملك وملكة فرنسا إذ صوروا فيها الحياة الدينية في أبشع صورة وذكروا اتهام الأمير عبد القادر لهم بأن لا دين لهم ، ولا عقيدة ، ولا رجال دين ،لهذا سعى البابا قريقوار الخامس لدى الدولة الفرنسية خاصة لدى الملك فرنسا بأن بعيد إحياء مجد الكنيسة الإفريقية التي اندثرت بعد الفتح الإسلامي لشمل إفريقيا ، فاتصلت ملكة فرنسا "ماري ايملي" برجال الدولة الذين لهم اليد في اتخاذ القرارات فيما يتعلق بالجزائر أمثال: "بور غلي" وزير الحربية و "ودي ريني" الذي كان مسؤولا عن قسم البحرية فصدر قرار بتاريخ 19 أكتوبر 1831م يقضي بتعيين القس "كولين" كوالي ديني في الجزائر.

---

[1] المهدي البوعبدلي ، آثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده ، المرجع السابق ، ص 1326.

[2] عبد الحميد زوزو ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1984، ص 233.

ولكن نظرا لسلوكه الذي اتصف بالقسوة نحو رجال الدين المسيحيين في الجزائر ، فتم إقالته وعين مكانه القس "موتر" من طرف الفاتيكان ، إلا أن السلطات تجاهلت وجوده في الجزائر.

وفي نوفمبر 1833م اقترح السيد "قاربيالدي" المكلف بالشؤون الدينية البابوية في فرنسا على الدوق بورغلي تسليم الشؤون الدينية في الجزائر فرقة العازاريين ، وتم اختيارها لمعرفتها بسكان شمال إفريقيا إذ كان وجودها منذ مائتي سنة ، وبالتالي احتكت بالمجتمع المسلم وعرفت عاداته وتقاليده ، كما أنها كانت مستعدة للتضحية في سبيل التنصير ، كما كانت لها القدرة على فهم اللغة العربية وبالتالي يسهل الاتصال بالسكان ونشر رسالتهم[1].

ولقي الاقتراح قبولا من الوزير الفرنسي وصرح قائلا: "إن المسؤولية الروحية للمستعمرة لا يمكن أن تسلم إلا بأيدي صالحة " .

إلا أن هذا المشروع ضل راكدا مدة طويلة نظر إلى سياسة التردد التي طغت على الحكومة الفرنسية في السنوات الأربعة الأولى من الاحتلال ، لكن ظهرت بعض المبادرات الفردية حيث سعت إلى الربط بين الاستعمار والتنصير في الجزائر وعملت على مد النفوذ السياسي بمبادئ الحضارة الفرنسية المسيحية والتي تعود إلى "أوغسطين دوفيالار" حيث وصفه "جورج قوايو" قائلا:"إن لدوفيالار الشرف لأنه كان أول معمر في الجزائر... وأن له روح فرسان العصور الوسطى التي هبت فيه لتقديم فرنسا المسيحية في صورة خيرية للإسلام".

إذ استقر بالجزائر وشجع الحركة الاستيطانية التي دعا إليها الجنرال كلوزيل إذ قام بشراء قطع من الأراضي في القبة ، براقي ، بن عكنون، بوفاريك ، سهل متيجة ، ولقد اعتمد على الأعمال

[1] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871م)، المرجع السابق، ص 50.

الخيرية كوسيلة لنشر رسالته ، فقام في مارس 1835م بإنشاء مركز طبي على حسابه الخاص ووجه نداء إلى الفرنسيين يستعطفهم باسم الحضارة المسيحية قائلا:"لمن الشرف أن تعمل بلادنا على تخفيف الآلام حتى في الأرض الإفريقية ومما لاشك فيه إن العرب والقبائل سيتأثرون عندما يعرفون أن الفرنسيين والمسيحيين سيبعثون لهم النجدات إن مثل هذه المؤسسة يجب أن تلقى في فرنسا كل التشجيع لأن عمل الخير يتغلب على الآلام وهذا نصر في الأراضي الإفريقية...ويمكن جذب السكان إلينا بواسطة الأعمال الحسنة خدمة لحضارتنا"[1].

ووجد هذا النداء آذان صاغية ، وأول من استجاب له الملك لويس فيليب وزوجته حيث تبرعا بمبلغ 1500فرنك لفائدة المرضى.

وفي 10 أوت 1835م نزلت أخت الملكة مع مجموعة من الراهبات بالمستشفى المدني بمدينة الجزائر وكان داء الكوليرا منتشرا آنذاك فكانت فرصة لها أن تبرز قواها الروحية والمادية فدفعت 2000فرنك لمساعدة المرضى.

وبينما كان أوغسطين يعمل بجدية من أجل الاستعمار عن طريق استخدام أمواله فكانت أخته تستخدم التطبيب والخدمات الخيرية لنشر رسالته الإنجيلية بالجزائر وفي أكتوبر 1835م كتب قنصل الفاتيكان بالجزائر لأسقف مدينة "فياك" يعبر فيه عن مدى ارتياحه لهذا العمل[2].

ولقد شجع سكوت السلطات العسكرية على العمل التنصيري زوجة الملك' إميلي" على مواصلة رسالتها ، فذهبت إلى فرنسا في نوفمبر 1835م ، وباعت ما تبقى لها من ممتلكاتها لفائدة رسالتها بالجزائر ، وعادت ومعها 18راهبة بعد أن حذرتهن من التحدث عن الدين الكاثوليكي مع المسلمين

[1] خديجة يقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871م)، المرجع السابق، ص 43.

[2] المرجع نفسه ، ص 44.

حتى يثير عواطفهم الدينية ، وفي 1836م فتحت مدرسة للبنات وبلغ عددهن 160 تلمذة سنة 1837م ، فطلب منها المفتش التربوي "بيشو" أن تفتح مدرسة أخرى وتلى ذلك فتح مركز كبير لتدعيم فرقتها الدينية ، ومستوصف لمعالجة المرضى ، وملجأ للأطفال و الأيتام ، ولقد أنيطت مهمة تنظيم الديانة المسيحية في الجزائر لقساوسة جمعية القديس" فانسان" (العازاريين) سنة 1835م، واستمر الحال على هذا المنوال حتى عين المطران "دوبوش" على رأس أسقفية الجزائر[1].

[1] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871م)، المرجع السابق، ص 49.

الفصل الثالث : التأسيس و التقنين والتنفيذ للمشروع التنصيري

I. تأسيس الأسقفية سنة 1838م :

على الرغم من الخطوات التي قطعها التوسع الاستعماري بعد مرور ثمانية سنوات من الاحتلال. إلا أن بال الفرنسيين لم يهدأ لمصير الاحتلال لأن المسيحية لم تتركز في الجزائر بصفة رسمية ، فقد تأخر تأسيس الأسقفية التي طمح إليها الكثير من المسيحيين وذلك يعود إلى:

1- من الناحية الإدارية لم يعلن الفرنسيون أن الجزائر من ممتلكاتهم إلا في 1834م.

2- سوء التفاهم الذي وقع بين البابا والملك لويس فيليب حول من يحق له تعيين رجال الدين

3- انتشار تيار مضاد للدين بين صفوف الجيش المقيم بالجزائر ، وخوف بعض القادة من رجال الدين ومن عودة الكنيسة إلى السيطرة على الشؤون السياسية.

4- المشاكل الاستعمارية ألهت المسؤولين عن الأمور الدينية.

هذا ما جعل المسيحيين الحريصين يتأملون لحالة الديانة المسيحية بالجزائر ويتحسرون على هذه النزعة اللادينية التي سادت الوسط العسكري ، حيث كتب أحد المسيحيين إلى وزير الحربية يشكوه هذه الحالة قائلا:"منذ حوالي ثمانية سنوات والعلم الفرنسي يخفق على سواحل إفريقيا ولم نقم حتى الآن بأي شيء من شأنه أن يساعد على انتشار الدين ونفوذه" والشعور نفسه كان لدى أسقف مدينة مرسيليا "مازينو" الذي تألم لهذا الوضع وناشد الملك لويس فيليب على وضع حد لذلك بتأسيس الأسقفية[1].

فكل هذا عجل بإنشاء الأسقفية بعد تفاوض الحكومة الفرنسية مع الفاتيكان ، فوافق لويس فيليب على تأسيسها يوم 08 أوت 1838م وعين السيد "أنطوان دوبوش" أول أسقف في الجزائر التي جاء إليها من بوردو وبعد حلوله بالعاصمة سكن بأحد قصور بايات قسنطينة[2].

وقد كان متحمسا لنشر المسيحية ويدفعه لذلك طموحه في إحياء الكنيسة الإفريقية وتنصير المسلمين ، إذ عبر عن ذلك قائلا:"يجب أن تكون رسالتنا بين الأهالي وينبغي علينا أن نعرفهم بدين

---

[1] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871م)، المرجع السابق، ص ص 50،51.

[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي من(1830الى 1954)،ج6، المرجع السابق، ص 108.

أجدادهم الأولين بالخدمات الخيرية" [1] فهو يرى أن التنصير العرب أمر لا بد منه حتى تتم رسالة فرنسا الحضارية على أكمل وجه في الجزائر ، وعلى هذا الأساس بدأ الأسقف دوبوش مشروعه التنصيري لاستعادة الكنيسة الإفريقية القديمة ، وأقنع الجنرالات بذلك لاسيما الجنرال "بيجو" فتعاونا معا وبلغ الأمر بدوبوش أن فاوض الأمير عبد القادر على الأسرى الفرنسيين حتى ظن بعض العسكريين أنه تجاوز حدوده[2] ، وباشر نشاطه بمنح 20فرنك أسبوعيا لكل من جاء ليسمع التلاوة الدينية بالكنيسة و50 فرنك لمن يقبل التعميد وسعى إلى جمع الأطفال المتشردين وهو عمل لقي تشجيعا من طرف البابا غريغوار السادس عشر[3](أنظر الملحق رقم3)

لقد استطاع دوبوش في ظرف سبع سنوات بناء 47 كنيسة ومعبدا و 40 ملجأ ووظف 39 راهبا وجلب عدد من الأخوات الرحمة ، وأنشئ ملجأ الترابيست في سطاوالي ، وصرف أموالا كثيرة على مشاريعه حتى بلغت ديونه 20.000 جنيه استرليني ، كما حاول التأثير المعنوي على السكان بالعلاج والأعمال الخيرية ، حيث أنجز مستشفى في وهران ، وملجأ ببوفاريك ، وكانت الكنيسة تكلف الدولة أموالا طائلة منها 25 ألف سنويا للأسقف فقط[4].

ولقد شغل بال الأسقف دوبوش منذ اللحظة الأولى من تعيينه فكرة استدعاء اليسوعيين إلى الجزائر رغم أنهم من الفرق المغضوب عليهم في فرنسا ، إذ بدأ يراسل منذ 05 أفريل 1839م روما من أجل بعث مبشرين إلى الجزائر وتم اختيار من له التجربة في البلاد العربية من بينهم الأب "بلانشي" من سوريا وقررا إرساله إلى قسنطينة لكنه لم يصلها لأنه وجد معارضة من القادة العسكريين ، لكن هذا لم يمنع من مجئ اليسوعيين في 1840م وتمركزهم بقسنطينة ، الجزائر ، معسكر وأسسوا الجمعية الأدبية الدينية للقديس أوغسطين 1841م ، وأكبر تظاهرة قام بها دوبوش هي استعادة بقايا القديس أوغسطين في 30 أكتوبر 1842م ونقلت من بافيا إلى طولون تم إلى عنابة على يد القساوسة والجماهير في حفل ديني ضخم تعبيرا على استمرارية الكنيسة المسيحية[5].

---

[1] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871)، المرجع السابق، ص 52.

[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ص 109.

[3] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871) ، المرجع السابق، ص 53.

[4] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1954) ، المرجع السابق ،ص 109

[5] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871)، المرجع السابق، ص ص58-60.

وفي سنة 1845م قام دوبوش بتدشين كنيسة بتلمسان بعد دخول الفرنسيين إليها ، وعين عليها أحد القساوسة ، ولكن بعد بضع أسابيع من إنشائها حدثت ثورة عارمة في منطقة الظهرة وشملت تلمسان فهرب القديس وفسد مشروع الكنيسة بتلمسان ولو مؤقتا[1].

ونظر السياسة التبذير والمغامرة التي سلكها دوبوش أفلس وأخذ يتهرب من الديوان إلى أن استقال وسجن ثم هرب إلى ايطاليا ، ثم اسبانيا وحدثت فوضة عارمة لهذه الفضيحة لولا تدخل الدولة الفرنسية بزعامة نابيليون سنة 1852م ، وتكفلت بدفع الديون المترتبة على الأسقف باعتباره كان يخدم مصالح الدولة[2].

وبعد دوبوش خلفه بافي (1846–1866) (pavy) في العمل التبشيري وهو الأسقف "لويس أنطوان بافي" الذي حل بالجزائر في 10 جويلية 1846م ، وكان متحمسا هو الأخر للاستمرار في المشروع ، لكنه يختلف عن سابقه ، حيث كان دبلوماسيا إذ أن أول شيء قام به هو ربط علاقة حسنة مع العسكريين حتى يتمكن من نشر رسالته التنصيرية ، إذ استطاع أن يستغل عطف الجنرال بيجو[3].

بدأ بافي نشاطه التبشيري ببعض الأعمال الخيرية كتوزيع الصدقات على المعوزين وبعد استسلام الأمير عبد القادر للسلطة الفرنسية في 1847م اغتنم بافي الفرصة للقيام بنشاطه في المناطق الداخلية فبدأ بالاتصال بالشيوخ والأئمة عسى أن يؤثر عليهم ويجعل منهم مبشرين ، لكنهم لم يقتنعوا بأفكاره وقد ركز بافي نشاطه في قسنطينة ، الجزائر ، عنابة وانصب اهتمامه على القوى البعيدة سعيا إلى النجاح وقد وقع اختياره على هذه المدن لوجود عدد كبير من اليسوعيين فيها ، وفي عهده عرفت الجزائر تغيرات إدارية وثورات شعبية واستطان الأوروبيين وحركة هجرة الجزائريين نحو المشرق[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق،ص 113.

[2] خديجة يقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830–1871)، المرجع السابق، ص 61.

[3] المهدي البوعبدلي ، أثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده ، المرجع السابق ، ص 1393

[4] خديجة يقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830–1871)، المرجع السابق، ص 66.

وخلاصة أعمال بافي رجوع كنيسة تلمسان 1846م في طراز موريسكي وكانت زيارات وكتابات بارجيس تساعد بافي على ترسيخ فكرة استعادة الكنيسة الكاثوليكية إلى سالف عهدها ، ولذلك قام بارجيس بتأليف كتاب سنة 1848م "من الكنيسة الإفريقية"[1](الملحق رقم 4).

وفي سنة 1850م افتتح على حصن سانتاكروز بوهران معبدا جديدا سمى معبد الخلاص وفي سنة 1854م وضع الحجر الأساس لكنيسة السيدة الإفريقية بجبل بوزريعة المطل على البحر ووسع من كاتدرائية سان فيليب (كتشاوة) ، وأحضر مجموعة من المعلمين (إخوة المدارس المسيحية) وفتح بهم التعليم الديني ووسعه ، وأحضر عددا من الجزوية ، وفتح بعض المدارس ، الملاجئ ويذكر أنه هيأ لإنشاء الأسقفية في كل من وهران ، قسنطينة ، كما جعل أسقفية الجزائر في مستوى أسقفية فرنسا.

ووقعت في عهده محاولات التنصير في عدة أماكن منها: (مسرغين ، عين الحمام ، القبة ، الأغواط) حيث قام بإنشاء المدارس والمكتبات الشعبية وكانت المدارس تعلم تقنيات الفلاحة للجزائريين حتى تساعد المستوطنين على استخدام يد عاملة خبيرة بأجور ضعيفة وتذكر بعض المصادر أن بافي ترك 1800 تلميذ يتعلمون في المدارس الدينية عندما رحل اتجاه تنصير المسلمين في المناطق النائية والمعزولة بعد فشله في المدن وطلب من الحكومة إرسال الجزوية إليه ، لكنها لم تشجعه على ذلك في أول الأمر ، لأن هذه الفرقة غير مرغوب فيها في فرنسا[2] فاعتمد على وسائله الخاصة وفي سنة 1853م أخذ بافي يهاجم الإسلام ويطعن في حقيقة القرآن الكريم ، ويتهم الرسول -**صلى الله عليه وسلم**- بالكذب وتقليد المسيح ، فخشيت الحكومة من عواقب الصراع بين المسلمين والمسيحيين ، فطلبت منه التقليل من حدة الهجوم على الإسلام[3].

وبعد ذلك اعترف بافي بفشله في مساعيه التنصيرية فركز نشاطه على المراكز الاستطانية وحاول كسب الكولون إلى جانبه ضد العسكريين الذين يعتقد أنهم يعرقلون نشاط التنصير ، وفي نهاية عهده سعى بافي الى الحصول على فتح أسقفت وهران وقسنطينة ، لكل المارشال "بيلسه" لم يوافقه الرأي لأن ثورة أولاد الشيخ كانت قائمة في الجهة الغربية 1864م ولكن وفاة بيلسه في هذه السنة

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ،116.

[2] المرجع نفسه ، ص 116.

[3] المهدي البوعبدلي ، آثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده ، المرجع السابق ، ص 139.

جعلت بافي يغتنم فرصة زيارة نابوليون إلى الجزائر في 1865م ، وأثار معه الموضوع فوافق نابليون على الطلب بعد موافقة البابا ، وهنا وقعت أزمة بين فرنسا و الفاتيكان تتمثل في موافقة البابا قبل الحكومة الفرنسية ، لكن موت بافي المفاجئ في 1866م انهى الأزمة وترشح أخيه "كلود بافي" لمنصبه لكن حصل على الأقلية من الأصوات أمام منافسه "فاستلني" وظلت المنازعات قائمة إلى أن اقترح المارشال ماكمهون الحاكم العام للجزائر اسم شارل "لافيجري"[1].

II. وسائل تنفيذ سياسة فرنسا التنصيرية :

أ/ الأساليب التنصيرية الصريحة :

شكل الدين الإسلامي بالنسبة للاستعمار الهدف الرئيسي الذي إن تم القضاء عليه سوف تضمن الهجمة الصليبية استمرارها في الجزائر لهذا اتبع الاستعمار سياسة واضحة للقضاء على الشخصية الإسلامية في الجزائر معتمدا في ذلك سياسة العنق والقوة والقضاء مباشرة على المساجد ، الأوقاف القضاء على الدين الإسلامي[2].

1. **القضاء على المساجد** : من المبادرات الأولى التي قامت بها السلطات الفرنسية في الجزائر هد معا المساجد وتحويلها إلى كنائس بحجة إقامة الشعائر الدينية المسيحية بها[3].

ففي العاصمة الجزائرية أغلقت سلطات الاحتلال سنة 1830م 13 مسجدا كبيرا و108 مسجدا صغيرا و32 جامعا و 12 زاوية ، وفي سنة 1862م لم يكن مخصصا للمسلمين لإقامة شعائرهم الدينية سوى 4 مساجد كبيرة و8 مساجد صغيرة ، و9 جوامع وأهم الساجد التي عنيت بها الإدارة الفرنسية وتم تحويلها هي:[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق 118.

[2] فرحات عباس ،ليل الاستعمار ، ترجمة أبو بكر رحال ، ج1 ، مطبعة فضالة ، المغرب ، ص 25.

[3] أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (1830–1962)، ج2 ، ط3 ، الشركة الوطنية للتوزيع ، الجزائر ، 1983، ص18.

[4] صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من (1830–1962)، ج1، المرجع السابق،ص 205.

– لقد تم "تحويل كتشاوة' إلى كنيسة في عهد الدوق 'دوروفيقر' بتاريخ 24 ديسمبر 1832م وهو اليوم الذي اختاره القسيس "كولان" لتمسيح المسجد ، وجعله كاتدرائية (سيدة الجزائر) وكان ذلك إبان صلاة منتصف الليل التي يقيمها عباد الصليب بمناسبة "عيد النويل" فحولوا المنبر إلى قداس ووضعوا فيه تمثال السيدة "مريم"[1].

وتذكر بعض المراجع أن المسلمين تنازلوا عن المسجد ، وتم ذلك برضى مفتي المدينة مصطفى بن الكبابكي الذي كتب يقول :"لئن تحولت الشعائر في مسجدنا فان ربه لم يتحول ، وقد كان في استطاعتكم أن تأخذوه قسرا ، لكنكم فضلتم الطلب على القوة ، وهذا مظهر من مظاهر التسامح هيهات أن ننساه" ومن خلال هذه المقولة نستنتج أن طريق الاستيلاء لم تتم عن طيب خاطر كما يبدو ، بل كان عن خوف وعن طريق القوة التي استعملها 'دورفيقو" بعد الموقف المعارض للسكان لهذا التصرف فقد ذهب ضحية هذه المعارضة حوالي 4 آلاف جزائري كان معتصما بالمسجد منعا لتحويله[2].

كما حول كذلك في الجزائر مسجد "علي بتشيني" إلى كنيسة 'سيدة الانتصار" وفي وهران حول مسجد "سيدي محمد الهواري" إلى مخزن عام للعسكريين ، وفي قسنطينة حول مسجد 'صالح باي' إلى كنيسة ، وفي تلمسان حول مسجد 'سيدي ابن الحسن" إلى متحف في 1879م وفي مدينة معسكر مسجد عين البيضاء إلى مخزن حبوب الجند[3].

وكان يرافق تحويل المساجد إلى كنائس في أغلب الأحيان خطابات استفزازية عنيفة مثل الخطاب الذي ألقاه سكرتير الحاكم العام في قسنطينة أثناء الاحتلال لتحويل مسجد "صالح باي" إلى كنيسة حيث قال :"إن آخر أيام الإسلام قد دنت ، وفي خلال العشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح ، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا ، فلا يمكننا أن نشك على أية حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد ، أما العرب فلن يكونوا مواطنين لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا"[4].

---

[1] الطاهر بوشوشي ، صفحات من تاريخ جامع كتشاوة ، الأصالة ، العدد 14 –15، (سنة 1973 ، ص 298.

[2] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830 1871)، المرجع السابق،ص ص32–33

[3] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ط2 ، الجزائر ، 1963 ، ص 245.

[4] صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من (1830–1962)، المرجع السابق، ص 206 .

2. الأوقاف الإسلامية :

يعتبر الوقف ظاهرة اجتماعية إسلامية عرفتها الجزائر خلال الحكم العثماني وانتشر وأصبح مؤثر على مختلف أوجه الحياة إلا أنها في العهد العثماني لم تعرف تنظيمات محكمة وإشراف فعال إلا في فترة متأخرة نسبيا تعود إلى أواخر القرن 18م[1].

ومنذ بداية الغزو الفرنسي نظرت السلطات الفرنسية إلى الأوقاف على أنها تمثل أحد القضايا الصعبة التي تقف أمام سياسة الاستعمار ، وذلك لكون الوقف جهازا إداريا ووسيلة اقتصادية فعالة تحول دون المساس بالمقومات الاقتصادية ، والعلاقات الاجتماعية للجزائر ، وهذا ما دفع الجيش للعمل على مراقبة المؤسسات الدينية و تسويتها والاستيلاء على الأحباس التابع لها وبما أن الأوقاف اعتبرت عائقا أمام السياسة الاستعمارية عملت الإدارة الفرنسية جاهدة لإصدار قرارات ومراسيم تنص على نزع الحصانة عن الأملاك المحتبسة ، وكان أول قرار فرنسي يتعلق بالأوقاف كان قد صدر في 08 سبتمبر 1830م ، يتضمن بنودا تنص على أن للسلطات العسكرية الفرنسية الحق في الاستحواذ على أملاك موظفي الإدارة التركية السابقة وبعض الأوقاف التابعة للمؤسسات و أوقاف الحرمين وهذا ما أثار استنكار رجال الدين والعلماء وأعيان مدينة الجزائر وكان في طليعة المحتجين المفتي ابن العنابي والكبابطي وأبو ضربة[2].

وقد تلى هذا القرار عدة قرارات منها قرار 7 ديسمبر 1830م ، قرار 25 أكتوبر 1832م ، قرار 1873م والذي استهدف تصفية أو قاف المؤسسات الدينية لمواصلت التوسع الاستيطاني الأوروبي في الجزائر[3]، وبذلك فقد الجزائريون احدى الوسائل المادية والروحية والثقافية للوقوف أمام مطامع

---

[1] Férand (L), les anciens établissement religieurs musulan de constantitne, Revue Africane , N°12 ،1868, pp 125-126

[2] (مجهول) ، الوقف ومكانته الحياة في الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالجزائر أو العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي الأصالة ، العدد 89-90 ، 1981 ، ص 100.

[3] شارل أندري جوليان ، إفريقيا الشمالية تسير (القوميات والسيادة الفرنسية) ، ترجمة المنجي سليم وآخرون مراجعة فريد السوداني ، دار الزيتونة ، تونس ، 1976 ، ص 55.

الاستعمار ومخططاته الرامية إلى القضاء على المقومات الاقتصادية والأسس الاجتماعية للشعب الجزائري المسلم[1].

وفي سنة 1905م أصدرت فرنسا قرارا يقضي بفصل الدين عن الدولة وجرى تطبيقه في الجزائر بموجب مرسوم 27 سبتمبر 1907م ، ولكن هذا القرار لم يشمل الدين الإسلامي ، بل شمل اللفيف الأوروبي واليهود واحتفظت بما تبقى من الأوقاف الإسلامية ، وأنشأت جمعيات دينية إسلامية شكلية[2].

3. القضاء الإسلامي :

القضاء الإسلامي في الجزائر اتسم بالنزاهة والكرامة ، مبني على الدراية والعدل وهذا قبل الاحتلال إلا أنه منذ الحملة الفرنسية أصدر المحتلون قرار سنة 1834م يقضي باستئناف الأحكام التي يصدرها القاضي المسلم أمام مجلس الاستئناف الفرنسي ، وفي فيفري 1841م صدر قانون نزع سلطة القاضي في أحكام الجنايات ، والجنح ، وجعلها من اختصاص محكمة الاستئناف الفرنسية ، وفي 13 ديسمبر 1866م صدر مرسوم حطم القضاء الإسلامي بفرضه على المسلمين لتقاضي لدى قضاة الصلح الفرنسيين ، وأصبحت مهمة القضاة المسلمين تنفيذ أحكام قضاة الصلح ليس أكثر ، وفي عهد الجمهورية الثالثة صدر قانون 26 جويلية 1873م يقضي بنزع حق النظر في الملكية والاستحقاق وبتاريخ 28 أوت 1874م صدر أمر بإلغاء المحاكم الإسلامية في منطقة القبائل وأخيرا اصدر مرسوم يوم 25 ماي 1892م حصر عمل القاضي المسلم في النظر في دعاوي الزواج والطلاق والمواريث[3].

وبقي هذا القانون نظري ولم يطبق في الواقع ، ومع مرور الزمن احتكرت الإدارة الفرنسية تعليم إلقاء ووظائفه لمن يتخرجون على يدها ، وبتعاليمها جعلت نقض أحكامهم وتعقيبها بيد القضاة الفرنسيين وأصبح القضاء الإسلامي خاضعا للقضاء الفرنسي ، وأصبح القضاة يحكم الضرورة لا

---

[1] (مجهول) ، الوقف ومكانته الحياة في الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني وأوائل العهد الفرنسي المرجع السابق ، ص 102.

[2] محمد خير الدين ، مذكرات ، ج1 ، المؤسسة الوطنية في الجزائر من (1830–1962) ، المرجع السابق ، ص134.

[3] صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من (1830–1962)، المرجع السابق،ص ص 206،207.

يرجعون في أحكامهم إلى النصوص الفقهية ، وإنما إلى اللوائح التي يضعها وكلاء الحق العام الفرنسيين وفي هذا من الإجحاف وظلم القضاء الإسلامي مالا يرضى المسلمين[1].

ولم تتغير هذه الوضعية طوال العهد الاستعماري ، بل استمرت الممارسات الفرنسية في الاتجاه نفسه الذي حدده الأميرال "دي جيدون" بقوله :«يجب أن يزول القاضي المسلم إمام القاضي الفرنسي ،إننا نحن الغالبون»[2].

كما أتبعت فرنسا تقنيات أخرى صريحة لاستمالة الفرد الجزائري المسلم وإقناعه بصلاح الدين المسيحي ، وتخلف الدين الإسلامي ، وتعود هذه التقنيات إلى ما بعد توقف الحروب الصليبية ، حيث اتخذ التنصير المسيحي في شمال إفريقيا طابعا آخر بين صفوف المسلمين وقد تزعم هذا الأسلوب الصريح المبشر "ريمون لول" . (Raymond Lulle)

وتتمثل في التقنيات الآتية :

- **الحوار والنقاش** : وهو اتصال مباشر بين الأفراد أو الجماعات ، إذ يثار معهم حوار يستهدف الدعوة لاعتناق المسيحية النصرانية ويعمل على زعزعة معتقداتهم الإسلامية إذ نجد المبشرين يجنحون إلى الشباب على وجه الخصوص ، أو الأفراد الذين لا معرفة لهم بالدين وعلومه ، في حين يكون المبشر في حد ذاته مختصا في علم اللاهوت ، ونلمس هذا الأسلوب عند "ريمون لول" الذي استعمله مع سكان بجاية ، كما جاء به الأب "بربجيس" إلى سكان تلمسان.
- **الأسلوب السفسطائي** : ويعتمد على المغالطة والتشكيك بقلب الحقائق مثلما فعل "الأب "لاماس" في كتابه بمصطلح الهجرة حيث شرحها بمعنى الهرب والخوف والجبن ، وأسقط ذلك على هجرة النبي –**صلى الله عليه وسلم**– وقال أنه خائفا وجبانا ، فهو ليس بنبي لأنه لا يوجد نبي جان.

---

[1] محمد خير الدين ، مذكرات ، المرجع السابق ، ص 139.

[2] صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من (1830–1962)، المرجع السابق، ص 208.

أما بالنسبة للتشكيك فيجعلون المسلم يشك في عقيدته واطمئنانه لها ويعملون على إضعاف علاقته بثقافته وحضارته ، وإذا كان اليوم يوجد من يشك في أهلية اللغة العربية ، وقدرته على مسايرة متطلبات العلم والتقنية في بث نفوس بعض المسلمين في أمور أساسية كثيرة[1].

- **التأليف** : اعتمدت الكتابة والتأليف كأسلوب وطريقة للتبشير لزعزعة المعتمد الإسلامي عند المسلمين ، وتحريرهم من تأثيره عليهم بغية جلبهم إلى المسيحية ، كما يعملون على تشويه الإسلام وتقبيله مخافة التأثر به واعتناقه ، ولقد طبق الكاهن "فرنسوا بورقاد" (1506-1866) هذا الأسلوب فأسس مدرسة ومعهد "سان لويس" ومستشفى ومطبعة حجرية وألف كتاب بطريقة الحوار البسيط حول قضايا الأديان ليصل في نهاية الحوار إلى تفضيل المسيحية على الإسلام وضرورة اعتناقها[2].

ب/ الأساليب التنصيرية الخفية : يعتبر هذا الأسلوب أشد خطرا من التنصير الصريح ن لأنه يعمل في الخفاء ، فلا ينتبه إليه إلا لاحقا فهو الذي يكون ظاهره رحمة وباطنه عذاب ، ولقد تطرق له كل من الأستاذ عثمان الكعاك ، عمر فروخ ، محمد الغزالي ويقول هذا الأخير في كتابه حصاد الغرور«والتبشير يتطلب أمرين متكاملين أو لهما العنوان الذي يستر خبيئته ويجعل له في الظاهر وظيفة أخرى ثقافية أو اجتماعية أو طبية... يمضي تحت شعارها إلى هدفه»[3].

أما الأستاذان عمر فروخ ومصطفى خالدي فقد جاء في كتابها التبشير والاستعمار في البلاد العربية: «إن البلاد العربية لا تزال مع الأسف ترسخ في رواسب الاستعمار ، وتعاني آلام التبشير من أجل ذلك لابد من صدور الطبعة الثالثة حتى يظل المسلمون الذين خرجت بلادهم من الاستعمار الرسمي فاتحين أعينهم على الاستعمار الفعلي الذي يبتدأ بالتعليم... ليس كتب المبشرين هي التي تقضي وضع هذا الكتاب لكشف النقاب عن تلك الأصابع الحاذقة التي تمتد إلى كل صوب في العالم الإسلامي ، بل هناك المؤسسات التبشيرية تلك المؤسسات التي تبدو في مظاهر مختلفة بعضها واضح

---

[1] عثمان الكعاك ، التبشير والتخطيط التبشيري ، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي ،منشورات التعليم الأصلي،قسنطينة،1975، ص 1137.

[2] الحبيب الجنحاني حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب خلال القرن 19م ، المرجع السابق، ص 1061.

[3] محمد الغزالي ، حصاد الغرور ، الصراع العربي الصهيوني (منشأ ومسارا ومصيرا)، تحقيق مسعود فلوسي ، ط1 ، دار ريحانة ،الجزائر ، ص 259.

المعالم وبعضها الأخر بعيد عن التهمة كل البعد كالمدارس ، الجامعات ، المستشفيات ، الميتم ، الأندية ، الجمعيات ومؤسسات البر والإحسان»[1].

وقد طبق هذا الأسلوب في الجزائر بعدة تقنيات مختلفة نذكر من أهمها :

- التعليم :

إن محاولة الدعوة إلى النصرانية بين أفراد الشعب الجزائري المسلم ليس بالأمر السهل ، ورغم ذلك تمكنوا من القيام بهذا العمل نظرا إلى تعدد الوسائل المستخدمة لديهم لاحتواء الشعب الجزائري وكذلك امتلاكهم أدوات الاتصال والوسائل المعنوية ، وتوفر الأموال اللازمة للتعليم ، التطبيب والأعمال الخيرية وقد استخدم المبشرون التعليم وسيلة للتنصير موجهين اهتمامهم نحو الأطفال ويعود ذلك إلى جملة من الأسباب :

- عن طريق المدرسة إذ يمكن للمبشران أن تمسك بالسكان والتغلب عن المشاكل الرئيسية التي تواجهه كالتعصب لديهم.
- سهولة التأثير على الأطفال ، وتلقينهم مبادئ النصرانية لكونهم لم يتشبعوا بعد بدين أجدادهم –الإسلام–.
- الوصول إلى أحداث تغيير في معتقدات المجتمع الإسلامي لكي يصبح نصرانيا في المدى البعيد.
- إعداد الرجال الذين ستعتمد عليهم الكنيسة الوطنية في المستقبل.
- لم يصل النمو العقلي عندهم إلى مستوى يمكنهم من أن يكتشفوا نوايا المبشرين التنصيرية[2].

كما استهدف المبشرون الفقراء في نشر دعوتهم ، فلقد شاءت الأقدار أن تحل بالشعب الجزائري مجاعة كبري في سنة 1867م حيث استغلها لافيجري إذ جمع ما استطاع من اليتامى من أبناء الجزائر في بن عكنون ، الحراش ، كما أرسل العديد منهم إلى فرنسا وطلب من الشعبين الفرنسي والبلجيكي تبني هؤلاء الأطفال من خلال إعلان نشره في الجرائد الفرنسية ، إلا أن هدف لافيجري من هذا العمل

[1] مصطفي خالدي ، عمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، المرجع السابق ، ص 22.

[2] محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر من1830 إلى 1904 ، المرجع السابق،ص ص 81،80.

هو تنصير هؤلاء الأطفال ويتجلى هذا في رفضه لإعادتهم إلى ذويهم عندما طلب منه ذلك بعد انتهاء حالة المجاعة وقد ركز المبشرين في استخدام التعليم كوسيلة للتبشير على ناحيتين :[1]

أولهما طرق إعداد المعلمين في التعليم التنصيري إذ يمثل المعلم المبشر الركيزة الهامة لنجاح التعليم التنصيري ، وبلوغ غايته في الجزائر.

وتتمثل في إفراغ الشخصية الجزائرية من مضمونها القومي ، وإحلال مضمون الشخصية الفرنسية بغلق جميع الفرص أمام الجزائريين التي تمكنهم من تعليم لغتهم الوطنية[2].

لذلك أوجدت المؤسسات الاستعمارية بمقتضى قانون 1883م جهازا مدرسيا متلاحما لأنها كانت تدرك أن التعليم التبشيري يمثل أكبر خطر يهدد الثقافة العربية الإسلامية الجزائرية[3].

وثانيهما يتمثل في الأساليب المتبعة لجلب أبناء الجزائر إلى مدارسهم حيث استخدمت أساليب متعددة الغراء الأطفال من أجل مدارسهم ، وتأثير على أولياءهم حتى لا يمانعوا من إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس ، ومن هذه الأساليب توزيع الحلوى للأطفال ، ومنحهم النقود ومنحهم أوراق اليانصيب وبصفة مجانية لكل طفل زاول الدراسة لمدة عشرين يوم في الشهر ، بالإضافة إلى إقامة ألعاب الرياضة في متناول جميع أطفال القرية في يومي العطلة الأسبوعية ، كما لجأ المبشرون إلى ابتكار أساليب أخرى متنوعة لجلب الأطفال إليهم ، إذ بدءوا بتدريسهم تاريخ الكنيسة الإفريقية واستخدام نصوص للديانة المسيحية في أغلب تمارين الإملاء في القسم[4].

---

[1] عبد القادر زبادة ، أربعة عشر قرنا حافلا من تاريخ في الإسلام في إفريقيا و التطورات الجديدة الأصالة ، العدد 75-78 ، 1979م-1980، ص 192.

[2] عثمان سعدي ، عروبة الجزائر عبر التاريخ ، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985م، ص 93.

[3] - عبد القادر جغلول ، تاريخ الجزائر الحديث،(دراسة سسيولوجية)، ترجمة فيصل عباس ، مراجعة خليل احمد خليل ، ط2 ، دار الحداثة ، بيروت ، 1982 م ، ص 77.

[4] - محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 ، المرجع السابق، ص 86.

- التطبيب :

ظهرت أهمية العلاج كوسيلة من وسائل التنصير في أواخر القرن 19م ، وكان أكثر شمولا وأكبر أثرا لأنه موجه للصغار وللكبار على حد السواء ، كما كان أكثر تأثير على نفوس الأفراد، واستخدم كوسيلة للتبشير بطريقتين هما :

أ/ جلب المواطنين للمستشفيات التي أقاموها لهذا الغرض حيث أقيم في العطاف مستشفى أسسه "لافيجري' في 1868م سماه بيت الله وأخر أسمه "جول كامبون' حاكم الجزائر العام في بني بن قلات في منطقة القبائل الكبرى سنة 1894م وأعطى للأخوات البيض حق الإشراف عليه وتسييره وأطلق عليه اسم 'سانت اليزابيت"[1].

واختيرت هذه الأسماء والمناطق لا عن طريق الصدفة ، بل عن دراسة وقصد ، فأسم بيت الله لغرض كسب المسلمين ، وجلب سكان المناطق المجاورة إليها دون انزعاج أو تنوف.

أم بالنسبة للموقع فإن العطاف الذي يقع بواد الشلف فإن لافيجري أقام به سباقا قريتين حيث أسكن فيهما الأسرى الذين كان من يتامى المجاعة(1867م) بعد أن زوجهم فأسس المستشفى هناك ليزيد دعما لنشر النصرانية ، ونفس الشيء بالنسبة لمستشفى 'سانت اليزابيت" في منطقة جرجرة فهو بمثابة قوة ثانية دعم بها المبشرين جهودهم التنصيرية إلى جانب ما أقاموه من مدارس لهذا الغرض.

ب/ علاج المرضى والجرحى في الحوادث المختلفة بمنازلهم ، وهنا يكون احتكاك المبشرين بالمواطنين أوسع إذ يتعدى المرض ويصل إلى أهله وجيرانه ، كما أن دخولهم إلى البيوت يفيدهم في الوقوف على أحوال معيشية السكان والبحث عن مساعدات لتقديمها لهم[2].

فالتطبيب يعتبر الوسيلة المباشرة التي تسمح للمبشر بالاتصال مع الجزائريين لكسب ثقتهم أولا وتصحيح أفكارهم المسبقة عنهم ، وبالتالي عقد صلات وثيقة ومتينة مع أهل البلاد ، من أجل ضمان استمرار مهامهم التنصيرية دون عوائق ، كما أنها تعتبر وسيلة لإظهار الخصال الخلقية الحميدة

[1] محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 ، المرجع السابق، ص 87.

[2] المرجع نفسه ، ص 89 .

(الطيبة ، الرأفة ، الشفقة ، التسامح ، المحبة...) كما أنها وسيلة جلب للفتيات الجزائريات للعمل بهذه المستشفيات.

بالإضافة إلى كل هذا المبشرات يقمنا الصلوات في قاعات المرضى ، ويقدمنا الهدايا لكل من يبدي اهتماما بالديانة المسيحية ، كما كانوا يدعون القادرين من المرضى إلى حضور القداس الذي يقام في كنيسة المستشفى صباح كل يوم ، حيث كانوا يروجون فكرة أنه لا يدخل الجنة إلا من عمد قبل الوفاة كما كانوا يهمون المعالجون في منازلهم ، أن ما يقومون به هو ما أملته عليهم العناية الإلهية فلذلك هم يقومون بهذه المهمة[1].

- **الأعمال الخيرية :**

يعد العمل الخيري بمثابة السلاح الأول الذي بواسطته يصلون إلى قلوب الناس ، وقد أوصى لافيجري مبشريه بالحرص على استخدامهم لماله ، فالأعمال الخيرية المستخدمة في الجزائر متنوعة إذ يمكن اعتبار الخدمات التعليمية والتطبيب أعمال خيرية ، لكن سوف نتحدث هنا عن الوسائل التي سخرها المبشرون لخدمة التنصير غير المباشر إذ كانوا يتوجهون في غالب الأحيان نحو المحتاجين لإدراكهم أن هؤلاء أكثر سهولة للوقوع في مخالب هذه الأعمال ، كما اهتموا بأيتام المجاعة(1867م) وعملوا على تقديم مساعدات للمقبلين على الزواج ، إذ أدركوا أن لإعادة المسيحية وغرس جذولاها لابد من الاعتماد على أبناء البلاد وذريتهم ، كما كانوا يقدمون الهدايا في العيد الميلاد وتتمثل هذه الهدايا في قمصان للبنات وشاشيات للبنين ، ومناديل وفساتين للنساء ، كما كانت صور المسيح من هداياهم ، وبالرغم من أن كل الوسائل المستخدمة قائمة على المال إلا أن المبشرين لم يبخلوا في تقديم مساعدات مالية في شكل مرتبات للذين يشغلون في مدارس المبشرين ومستشفياتهم من الجزائريين[2].

---

[1] محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 ، المرجع السابق، ص 90.

[2] المرجع نفسه، ص93.

كما هناك وسائل أخرى استخدمها المبشرون كأداة مساعدة في العمل التنصيري من أهمها:

- إقامة المراكز التنصيرية ، خاصة المدارس في القرى وهذا ما حدث في منطقة القبائل إذ تخلوا عن المدارس القرآنية.
- إقامة المدارس التنصيرية في أحياء الفقراء كما هو الحال في غرداية فإذا ما بدأ التأثير على السكان يؤتي ثماره ، فتنقل المدارسة إلى حي الأغنياء.

ولتسهيل احتكاك القساوسة بمختلف الفئات الاجتماعية كان هؤلاء القساوسة يرتدون ثيابا وبرانيس مثل الأهالي ، وذلك تطبيقا لمبدأ ميكيافيلي القائل الغاية تبرر الوسيلة ، فهم تخلوا عن اللباس الأسود للقساوسة وغيروه بلباس أبيض لتغيير عقيدة الجزائريين[1].

[1] أحمد بن النعمان ، كيف صارت الجزائر عربية مسلمة ، ط2 ، مطبعة البعث ، الجزائر ،1998 ، ص 111.

III. دور لافيجري و شارل دوفوكو في تنصير الجزائريين

ظلت الكنيسة أداة لا غنى عنها في إرساء قواعد الاستعمار في إفريقيا ، ومن جهتها وجدت الكنيسة السلطة الاستعمارية جسرا للعبور إلى عدة مناطق لنشر مبادئ الين المسيحي معتمدة في ذلك على ثلة من الرجال الذين تشبعوا بالمسيحية وأيدوا كل استعدادهم لنشرها بين المسلمين فأصبحوا رواد التنصير في إفريقيا عامة والجزائر خاصة.

ومن بين هؤلاء الرجال الذين كان لهم الأثر في تحديد اتجاه التنصير ومفاهيمه وخططه وإستراتيجية والذين لا يزال لهم أكبر التأثير إلى يومنا هذا هما :الكاردينال لافيجري باعتبار حركة التنصير انطلقت منذ وصوله إلى الجزائر وبلوغها ذروتها ، والكاردينال دوفوكو الذي يعد أكبر مبشر ومستكشفي الجزائر.

1) لافيجري (1866-1892):

هو شارل مارسيل ألمان لافيجري ، قسيس فرنسي من أسرة غنية ولد بمدينة بايون (Bayonne)[1]، شمال شرقي فرنسا في 1825/10/31م ،أكمل تعليمه الثانوي بمدينة [2] ودرس الآداب اللاتينية بمعهد الدراسات العليا للآباء الكرمليين ، ثم التاريخ الاكليروسي بكلية اللاهوت بالسربون (1854-1856). تحصل على الدكتوراه وأصبح الرأس المفكر لبابا روما ، تمكن بدهائه وثقافته الواسعة وإتقانه لعدة لغات قديمة وحديثة أن يذلل ما يعترضه من صعاب[3].

وقد اتسم فيها يتعلق بالإسلام بوضوح النظرة ، بسبب تكوينه النصراني في سان سولبيس (Saint Sulpice) والجو الثقافي الذي عاش فيه ، ولكن العامل الحاسم الذي أثر فيه تأثيرا عميقا ودائما هو اتصاله في 1860م بمسلمي بلاد الشام والأمير عبد القادر ، واحتكاكه بنصارها باعتباره مديرا لمؤسسة مدارس الشرق ، وذلك عندما أرسلته فرنسا ليحمل الإعانات المالية التي جمعت في

---

[1] عثمان الكعاك ، التبشير والتخطيط التبشيري ، المرجع السابق ، ص1150.

[2] عمر محمد الحربي ، التبشير وعلاقته باستعمار البلاد التونسية (1830-1881) ، الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين ، تونس ، ص 57.

[3] المهدي البوعبدلي ، أثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده ، المرجع السابق ، ص 1340.

أوروبا للنصارى[1] ، الذين أوقدوا نار الحرب الطائفية على الدروز المسلمين ، استجابة لرغبة الغرب الذي كان يبحث عن مبررات التدخل في شؤون الرجل المريض[2].

وقد التقى لافيجري بالأمير عبد القادر في دمشق ، فكان ذلك أول احتكاكه المباشر بالمسلمين فانطبع في ذهنه بعد اتصاله بالمشرق ، وهاته المقابلة أكدت له أن الإسلام هو أخطر عدو للنصرانية ومن هنا فالإسلام في نظر لافيجري هو دين التعصب الأعمى ومن ثم يجب البحث عن وسائل تخليص المسلمين منه ، وتنصيرهم لينعموا بأنوار الإنجيل حسب زعمه ، ولهذا الغرض فقد مر أثناء رجوعه من بلاد الشام إلى فرنسا ببابا الفاتيكان ، ليلفت انتباهه إلى أهمية مناصرة حركات التنصير في العالم الإسلامي [3].

وقد استطاع لافيجري أن يجمع بين العمل السياسي والعمل التنصيري ، وهو ما جعل بلده تعترف بدوره في خدمة سياستها في العالم الإسلامي ، فكرمته بوسام الشرف الفرنسي في 1861/02/08م ، كما اعترفت الكنيسة بفضله أيضا في خدمة التنصير ، فعينه قسيسا حاكم الجزائر العام الذي عينه بعد ذلك أسقفا على الجزائر سنة 1867م ليكون كبير أساقفتها خلفا للأسقف بافي[4](أنظر الملحقين رقم 5 و6).

- **تعيينه أسقفا على الجزائر :** ارتبط تعيينه أسقفا على الجزائر من طرف ماكماهون بأسطورة سبقت ذلك ، وهي رؤيته في المنام رسالة أتته من الله تأمره بالقيام بعمل مسيحي جبار في إفريقيا ليعيد لها مجدها المسيحي الروماني ، ولما وصل إلى الجزائر في 15 ماي 1867م وضع نصب عينه ما يلي:

1- إحياء الماضي الاستعماري النصراني الروماني ، باعتباره وارث كرسي القديس سيبريان.

2- جعل الجزائر المركز الأساسي لتنصير إفريقيا كلها.

---

[1] عبد المجيد الشرفي ، الحركة التبشيرية في تونس في القرن 19م ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد 8 ، تونس ، 1971 ، ص ص 143 ، 144.

[2] الحبيب الجنحاني ، حركة التنشير والسياسة الاستعمارية في المغرب خلال القرن 19م، المرجع السابق ، ص 1060.

[3] عبد المجيد الشرفي ، الحركة التبشيرية في تونس في القرن 19م، المرجع السابق ، ص 146.

[4] الحبيب الجنحاني ، حركة التنشير والسياسة الاستعمارية في المغرب خلال القرن 19م، المرجع السابق ، ص 1150.

3- اعتبار التنصير ركنا أساسيا في البناء الاستعماري الذي ترغب فيه فرنسا التي اتحدت مع الكنيسة لتحقيق ما سبق مما جعل لافيجري يكتب إلى رهبان الجزائر يوم 05 ماي 1867م قائلا:« سأتيكم إخواني الأعزاء في ساعة مشهورة في تاريخ إفريقيا المسيحية..... الكنيسة وفرنسا متحدتان لإحياء أمجاد الماضي »[1]

أول أعمال لافيجري في الجزائر :

كان أول عمل قام به هو إزالة ما كان جفوة بين الكنيسة والحكومة لاحتياج كل منهما لأخرى [2] ذلك أن سياسة فرنسا اقتضت منذ الاحتلال عدم مصادمة الشعور الديني للأهالي خوفا من انتفاضهم ، رغم معارضة سلفي لافيجري ديبش وبافي لهذه السياسة [3] ولهذا فإن المستعمرين كانوا يفضلون التوغل ببطء للقضاء على الإسلام وتنصير الأهالي ، وهو ما جعلهم يتظاهرون بعدم محاربة الإسلام في ذرك الأهالي يقومون ببعض الأعمال الدينية التي بينها لافيجري منتقدا بلده في السماح بها ، فيقول: ' وفي نفس الوقت الذي كان فيه سلفاي محرومين من كل حرية ، فأنهما كان يشاهدان ارتفاع المساجد غير النافعة... وتشجع المدارس والاجتماعات الدينية التي تذكي تعصب الأهالي... وتسهيل الحج إلى مكة... وأخيرا ، وهو أمر لا يتصور حقا : نشر تعليم القرآن بإسم فرنسا حتى بين الذين لم يعرفون قط كسكان بلاد القبائل' [4].

نستشف من هذا النص الذي انتقد فيه حكومة بلاده أن منهجه التنصيري يقوم على منع بناء المساجد التعليم والاجتماعات الدينية : كالصلوات الخمس والأعياد والجنائز وغيرها ، ومنع أداة

---

[1] الحبيب الجنحاني ، حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب خلال القرن 19م، المرجع السابق ، ص1062.

[2] المهدي البوعبدلي ، أثار التبشير المسيحي في الجزائر ، المرجع السابق ، ص 1340.

[3] عبد المجيد الشرفي ، الحركة التبشيرية في تونس في القرن 19م، المرجع السابق، ص146.

[4] المرجع نفسه ، ص 147.

* قد منعت سلطات الاحتلال سكان جرجرة بالفعل من أداة فريضة الحج بعد ثورة المقراني ، ولما سمحت لهم سنة 1876 بأداء هذه الفريضة احتج لافيجري لدي سلطات بلاده على ذلك ، وقد ذهب لأداء الفريضة 83 حاجا من دائرة الأربعاء ، وفي سنة 1879 قدم 118 طلب رخصة لأداء فريضة الحج (محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر ، المرجع السابق ، ص 105).

فريضة الحج*، و منع تعليم القرآن الذي جعله عدوه اللدود، لأنه بهذا يتأتى له منع الناس من تعليم دينهم وفهمه فيسهل له ابتلاعهم، كما يتضح لنا أيضا أنه اعتبر سكان بلاد القبائل لا يعرفون القرآن، ومن ثمة يجب التركيز عليهم في التنصير لأنهم أسهل من العرب في تقبل النصرانية والارتداد عن دينهم بسبب جهلهم، فيمكن استخدامهم في التبشير، كما يمكن بذلك خلق حالية نصرانية تحركها فرنسا متى تشاء لكن نرى أنه يستحيل أن يجعل لافيجري معرفتهم بالقرآن، و لكنه كان يمهد لاتخاذ الذرائع لإطلاق يده في تنصيرهم و فصلهم عن بقية الأهالي فيضيق بذلك جيشا جديدا يساعد فرنسا ويمكنها من الاستمرار اللانهائي في البلاد.

مشروع لافيجري التنصيري :

يقوم مشروعه التنصير على ما يلي :

1. الإحسان واستغلال الظروف :

عندما وصل لافيجري إلى الجزائر وجد بها مجاعة كبرى نتجت عن عدة نكبات حلت بالبلاد بين سنتي 1867-1868م منها: زلزال البليدة، الجراد الجفاف ووباء الكوليرا والتيفوس، وكذلك طرد السكان من أراضيهم الخصبة إلى الجبال والصحاري وإعطاؤها للمعمرين[1] تدمير الجيش الفرنسي للمطامر فنتج عن كل هذا مصائب شديدة التي أطلق عليها السكان "عام الشر" فأكلوا جذور الأشجار والأعشاب، وتزاحموا على قمامات المدن وأصبحوا يغدون إلى المراكز الأوروبية منهوكي القوى، حفاة عراة وقد غابت عنهم الصورة البشرية إذ أصبحوا هياكل عظيمة، امتلأت الشوارع بالسائلين وكثرت الاعتداءات بغرض دخول السجون كي يضمنوا قوتهم فيها[2].

وقد تمخضت عن هذه المصائب هلاك أكثر من 300 ألف جزائري فاستغلها لافيجري أبشع استغلال لينصر الأهالي، فأنطلق بجمع التبرعات ويوزعها على المتضررين ولاسيما الأرامل واليتامى[3]، وقد عبر عن أهمية هذا في التنصير بقوله: «إنني حين أعين الأرامل والأطفال بما أستطيع،

---

[1] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871م)، المرج السابق ص 105.

[2] المرجع نفسه ، ص 107.

[3] المهدي البوعبدلي ، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي ، مجلة الأصالة، العدد8، وزارة الشؤون الدينية الجزائر، 1972 ، ص 312.

فإنما أعين السكان المسلمين لأؤدي واجبي كإنسان وكمسيحي وكأسقف، وليس لي من طموح سوى أن أظهر مرة أخرى الخصائص الإلهية لدين–النصرانية–إذ يأمر يجب كل الناس وإسعافهم مهما كانوا ولو كلن ذلك بالمخاطرة بالنفس» [1].

وهكذا استغل هذه الظروف القاسية والتقط نحو 1753 طفلا ما بين 8 و15 سنة وجمع تبرعات من أوروبا والفاتيكان بدعوى إنقاذهم من مصائبهم، فجمع أكثر من مليون فرنك وأخذ في إنشاء المؤسسات التي تحقق له أهدافه التنصرية[2].

2. إنشاء ملاجئ الأطفال :

أخذ في إنشاء ملاجئ الأطفال وقرر أن يبدأها بتأسيس مركز في منطقة مات جل سكانها بسبب المصائب وهي سهول الشلف الشرقية بناحية العطاف، فأسس بها ضريحا رمزيا يتمثل في قبة فوقها صليب سماها "سان سبيريان"، وجعل بقرية مستشفي سماه أيضا، وأسس قرية لتنصير الأطفال سماها "سانت مونيك"[3]، كما أنشأ ملاجئ أو قرى أخرى للأطفال في بوزريعة، بولوغين، بن عكنون، الأبيار، القبة، بوفاريك والعاصمة قصد المعالجة والتنصير ولكي يحقق أهدافه لم يتورع حتى عن اختلاق قصص خيالية ليبين ثمار تنشئة لأطفال المسلمين. ومن ذلك قصته الوهمية مع شارل عمر بن سعيد وهو شاب في العاشرة حسب الرواية التقى به لافيجري في 1867م فوجده يتيم الأب فنصحته أمه بالذهاب إلى ملاجئ لافيجري ليجد الخبز، وبين أن هذا الشاب لم يذهب إلى شيخ الزاوية، لأن شيوخ الزاويا طردوه، فقبله لافيجري وسمه شارل، ورفض الرجوع إلى والدته لأنه حسب الرواية وجد أبا– هو لافيجيري– أحسن من والدته.[4]

من خلال هذه الرواية يتضح لنا شيئين هما :

---

[1] Lettre Annonçant la prochaine ouverture de l'Asile destimé oux vieillards des deux sexes de la colonie eropéenne du diocèse d'alger œuvres choisies de son éminence le cardinale Lavigerie , 2vparis, 1884, tom I,p 138.

[2] المهدي البوعبدلي ، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي ، المرجع السابق ، ص 312.

[3] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830–1871م)، المرج السابق ص 112.

[4] الحبيب الجنحاني ، حركة التبشير والسياسة الاستعمارية، المرجع السابق، ص1066.

① أن لافيجري لا مانع عنده من الكذب ليصل إلى ما يريده، وهذا نفس الشيء الذي استخدمه بورغاد الذي أستخدم الكذب في محاوراته ليصل إلى غرضه، ومن هنا فأن دين هذا الذي يكذب رجاله لجلب الناس إليه؟.

② حقد لافيجري الدفين على شيوخ الزوايا، لأنهم هم الذين وقفوا حجر عثر في وجهه وحموا المجتمع من التنصير والاستعمار.

وهكذا استخدم لافيجري كل الوسائل ليصل إلى أغراضه، فخصص فرقا دينية من رهبان وراهبات لمعالجة الأطفال المصابين بالكوليرا والتيفوس والجذري، والذين هلك الكثير منهم، فأغتنم لافيجري موتهم ليعمدهم ساعة الاحتضار، وهو ما يدل على الوحشية التي لم تعرفها البشرية قبلا، فأدرك كثيرا من العائلات خطورته على أطفالها فطالبت باسترجاعهم كما فر من تمكن من الفرار، ولم يبقي بالملاجئ سوى 378 طفلا قرر الاحتفاظ بهم بدعوى أنه المنقذ لحياتهم.[1]

وقد تم التركيز على الصغار لاعتقاده أنه يستحيل تنصير الكبار، وهو ما اقتنع به فبلا كلوزيل وغيره من رجال الجيش، لأن الكبار في نظرهم يستحيل زحزحت عقيدتهم، أما الأطفال ولاسيما اليتامى فأنهم في مرحلة تمكنهم من أن يزرع فيهم بذور النصرانية بالإحسان و التعليم و فتح مراكز الصناعة اليدوية، و هو ما تم بالفعل في الملاجئ، فأعلن في رسالة مطولة نشرت في مختلف الجرائد عن تبنيه للأطفال اليتامى بغرض الوصول إلى الإدماج السريع، قرر إبقاء من كان بين عكنون لتكوينهم في ميدان الفلاحة، وتسليم البنات للراهبات لتكوينهم في الأعمال المنزلية، وكل هذا بهدف خلق نواة خصبة من العرب المتنصرين ومن هنا فقد كان يهدف إلى التنصير والإدماج وهذا ما عبر عنه لافيجري في الرسالة التي وجهها إلى مدير مؤسسة مدارس الشرق التي كانت تموله ليمول مشاريع ضحايا المصائب، وذلك في أفريل 1868م، ومما ورد في تلك الرسالة اعتباره تلك الأموال لإنقاذ الشعب الجزائري من الإسلام وقذف أنوار الإيمان النصراني في قلبه «لتنمي فيه بدل تعصبه الشعور بالمسؤولية وطاقة الواجب...»[2] فهو يعتبر الجزائريين متعصبون لأنهم يدافعون عن وطنهم ضد بلده المعتدي، وهنا تبدوا العلاقة جلية بين التبشير والاستعمار.

---

[1] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871م)، المرج السابق ص 115.

[2] عبد المجيد الشرفي، الحركة التبشيرية في تونس في القرن 19م، المرجع السابق ، ص ص145،146.

ثم يعبر صراحة هدف مشروعه فيقول:« المشروع الذي يؤدي حتما في وقت لاحق إلى إدماج الجزائر بسرعة أن روعي باستمرار وقدم على غيره ونمى، إنما هو مشروع تربية الأطفال، وفي هذه الفترة تربية اليتامى» ومن هنا يتضح أن لافيجري هو أحد أصحاب سياسة الإدماج التي تبنتها النخبة من الأهالي بعد ذلك، ولأهمية هذا المشروع أنشأ له الملاجئ وأنشأ الآباء البيض لمواصلته وتطويره، ثم بين أهمية هذا المشروع في خدمة الاستعمار فقال:«وإذا وقعت المواظبة على هذا المشروع... فستكون لنا في بضع سنوات مشتلة من العمال النافعين المؤيدين لاستعمارنا الفرنسي والأصدقاء له...إن هؤلاء الأطفال المساكين الجاهلين غاية الجهل بكل شيء سواء بأمور دينهم أو بغيرها، ليس لهم حتى من هذه الوجهة أي رأي مسبق، وأي نفور منا، ولاشك في أن الكثير منهم متى استفادوا من أقوالنا وأفعالنا سيطلبون بأنفسهم يوما ما التعميد، وسيكون ذلك بداية تجدد هذا الشعب».

وكان يرى أن العائق لهذا المشروع هو القرآن حيث قال:« وهذا الإدماج الحقيقي الذي يبحث عنه لكن دون طائل، لأن البحث عنه قد كان إلى حد الآن مع القرآن، وسوف تكون مع القرآن بعد ألف سنة كما نحن اليوم كلابا من المسيحيين، وسيكون ذبحنا وإلقاؤنا في البحر عملا مقدسا يثاب عليه صاحبه»[1]

3. إنشاء جمعية مبشري إفريقيا :

المعروفة بـــ الآباء البيض: الظروف السابقة من المصائب و أوبئة و طرد السكان من أراضيهم وتدمير الجيش للمطامر واستغلال لافيجري لذلك بإنشاء ملاجئ اليتامى جعلته يفكر بجدية في تلك الرعاية ليتسنى له القضاء نهائيا على القران الكريم الذي كان الحاجز الأكبر أمام أطماعه، واختمرت الفكرة في ذهنه بإنشاء جمعية"الآباء البيض"[2] التي تعد أشهر الجمعيات التبشيرية في إفريقيا عامة و شمالها خاصة،كما تعد أعظم أعمال لافيجري التبشيرية، فعمت إفريقيا الشمالية بمؤسساتها و خلاياها ومنشوراتها[3].

---

[1] عبد المجيد الشرفي، الحركة التبشيرية في تونس في القرن 19م، المرجع السابق، ص ص147،148.

[2] عبد المجيد الشرفي ، من ملامح التفكير التبشيري عند المسؤولين الفرنسيين في القرن 19 في الجزائر، المرجع السابق، ص 145.

[3] عثمان الكعاك، التبشير والتخطيط التبشيري، المرجع السابق، ص 151.

أسس هذه المنظمة الآباء البيض في سنة 1872م ومن الشروط التي اشترطها في أعضائها:

❶ التزي بالزي الجزائري المتمثل في لباس شيوخ الطرق الصوفية "البرنس الأبيض والشاشية" وذلك بسبب ما لرجال الطرق من مكانة في المجتمع، فاختيار اللباس يجعلهم لا يلفتون انتباه الناس إلى شيء جديد قد ينفرون منه، وليجلب لهم احترام المجتمع فيؤثروا فيه مثل رجال الطرق الصوفية.

❷ الثقافة الواسعة و ذلك زيادة على العلوم الدينية والفلسفية واللغات الأجنبية كالعربية واللهجات كالبربرية والعلوم الإسلامية والآثار والرحلات[1].

❸ معرفة الوسط من حيث الفئات الاجتماعية والأقليات بمختلف منحدراتها وأصولها.

❹ معرفة الفرق الإسلامية والطرق الصوفية والاحتكاك برجالها لمعرفة مواطن الضعف للتسلل من خلالها، ذلك أن المبشر بعد معرفته بالفرق والطرق واللهجات والأعراق يمكنه أن يفتح ثغرة ينفث منها سمومه بإبراز الخلاف وتضخيمه بين شيوخ الطرق وأصحاب الفرق لتحقيق سياسة الاستعمار الشهيرة "فرق تسد" ولتقزيم أولئك في عيون العامة فيسهل اصطيادهم.

❺ إتباع سياسة اللباقة و اللطافة والخلوة بالمسلم لبلبلة أفكاره وتنصيره[2].

وقبل أن يبدأ الآباء البيض عملية التنصير زارهم البابا بيوس التاسع(pie 9) فاستقبلهم مستبشرا، قائلا: «ما هذا؟ ففي الوقت الذي توالت فيه الضربات على الكنيسة من كل الجهات في أوروبا جاءتنا هذه البشارة من بلاد إفريقيا–الجزائر–التي كانت منذ أربعين سنة فقط مسلمة»[3].

فأجابه لافيجري :

«أيها الأب المقدس، هذه مقدمة لمنظمة الإرسالية التبشيرية أقدمها لكم، فبعد رجوعهم سيذهبون إلى داخل إفريقيا، باركوهم ليشجعوا و يتحملوا الأتعاب في سبيل العقيدة، وإذا اقتضى الحال فسيهبون

---

[1] المهدي البوعبدلي ، أثار التبشير المسيحي في الجزائر ، المرجع السابق ، ص 1342.

[2] عمر الحربي ، التبشير وعلاقته باستعمار البلاد التونسية ، المرجع السابق، ص ص 65،66.

[3] المهدي البوعبدلي ، أثار التبشير المسيحي في الجزائر ، المرجع السابق ، ص 1343.

لها رؤوسهم، فقاطعه البابا وردد معه رؤوسهم، وقال: حقيقة ففي زماننا هذا لا ينبغي أن يحافظ الرأس كثير على الجسد إذا أردنا أن نقوم بواجبنا نحو الإله كاملا غير منقوص»[1].

انطلاق عمليات التبشير الآباء البيض من بسكرة:

وذلك بغية التوغل السريع في إفريقيا وقد أقيم رمزا لهذا تمثال لافيجري في أحدى ساحات بسكرة، وهو متوج بالتاج اللاهوتي، حاملا عصا الأسقفية ذات الصليبين، متظاهرا برميها جهة الصحراء وقد تعهد للافيجري الحكام العسكريون بتسهيل مهمة هذه الفرقة مما يؤكد أن التبشير هو عمل تعاوني، ولكن السكان أدركوا مقصدهم فقتلوا أفراد هذه الفرقة، فقرر لافيجري مع ممثلي الحكومة والقادة العسكريين إنشاء منظمة مسلحة خاصة بحماية الآباء البيض، هي منظمة الحرس المسلح التي سميت باسم منظمة الإخوة البيض و التي جعل جل أفرادها من الشباب الغربي وأصبحت تشكل خطرا حتى على الجيش الفرنسي ذاته، مما جعل فرنسا تحلها في نوفمبر 1892م والسبب المباشر لحلها أن لافيجري وهو على فراش الموت زاره الولي العام "جول كامبون" برفقة الوزير "جول فيري"، وكانت واقعت توات بأدرار الشغل الشاغل للحكومة، فاستشاره الوزير، فأشار عليه لافيجري باحتلال المنطقة بالسلاح فاستصعب الوزير ذلك، فعرض عليهما أ ن يقوم هو باحتلال المنطقة بواسطة فرق الإخوة البيض فوعدوه بدرس القضية، وما إن وصل الوزير إلى باريس حتى أمر الولي كامبون بحل هذه المنظمة وتجريد أفرادها من السلاح وقد كان عسكريوا الصحراء يخفون عن الحكومة حقيقتها رغم ارتكابها أبشع الجرائم، لأنها كانت تخدمهم وتمهد لها السبيل[2]

وقد تمكن لافيجري من إحداث 10 أسقفيات بإفريقيا، و ولايتين دينيتين بـــ 660 مرشدا من الآباء البيض و50 مرشدا إفريقيا و 350 من الأخوات البيض كلهم يعملون لصالح فرنسا والمسيح كما عبر عنهم لافيجري، وقد تمكنوا من تنصير 400 ألف إفريقي[3].

وذلك تحت غطاء محاربة الرق أو تحطيم النظام الاجتماعي الإسلامي أساسا لتنصير لإفريقيا حيث أن لافيجري عندما أراد الشروع في خطته بالآباء البيض لتنصير إفريقيا واستعمارها، اختلق

---

[1] المهدي البوعبدلي، آثار التبشير المسيحي في الجزائ، المرجع السابق، ص1343.

[2] المرجع نفسه، ص 1344.

[3] المرجع نفسه، ص 1347.

قضية مقاومة الرق بها، لينفر الأهالي من الإسلام باعتباره السبب الوحيد لنظام الرق، فشن عليه حملة ضخمة، وألقي الخطب وكتب الرسائل وذلك ابتداء من سنة 1888م فشفع ذلك بمؤتمر بروكسل سنة 1890م.

والواقع أن هذه الحملة تدخل ضمن نشاطه التنصيري الذي يهدف إلى تنصير إفريقيا كلها واستعمارها[1].

التعليم عند لافيجري :

التعليم الذي تكفل به الآباء البيض يعد أهم ركن في مشروع لافيجري التنصيري، وقد أخذ يشتغل به منذ مصائب 1867م عندما أسس ملاجئ اليتامى ومراكز الطفولة وقد بين أهميته بقوله:« سيكون لنا في بضع سنين مشتلة من العمال النافعين المناصرين لاستعمارنا ولنقلها صراحة، من العرب المسيحيين أن هؤلاء الجاهلين غاية الجهل-لأنهم صغار السن- سواء بأمور دينهم أو بغيره ليس لهم من هذه الوجهة أي نظرة مسبقة علينا و أي نفور منها، ولا شك في أن الكثير منهم متى استفاد من أفعالنا وأقوالنا سوف يطلب منا يوما ما التعميد، وسيكون ذلك بداية تجدد هذا الشعب، وهذا هو الإدماج الحقيقي الذي نبحث عنه»[2] ،من هذا يتضح لنا:

- سياسة التجهيل التي اتبعتها فرنسا في الجزائر كانت من إيحائه وتدبيره.
- الإدماج الحقيقي لا يتم عن طرق التنصير.
- تقرير استغلال الجاهلين دليل على قناعة لافيجري بأن ما عنده بضاعة فاسدة، وإلا لما خشي عليها من ذوي العلم.

وهكذا فالتعليم يذوب الأهالي في فرنسا، ويحولهم من معادين إلى مناصرين وبذلك يتسنى لفرنسا الاستقرار في الجزائر إلى الأبد، وقد وضح وضع أهمية الأطفال الصغار لتطبيق هذا العمل فقال:«علينا أن نلهم هذا الشعب المسلم عن طريق أولاده أحاسيس ومبادئ النصرانية بتقديم الإنجيل

---

[1] عبد المجيد الشرفي ، الحركة التبشيرية في تونس في القرن 19م، المرجع السابق ، ص153.

[2] G.R. Goyou Lavigerie échos et ses leçons, Alger , 1927 , p 101.

إليهم بصورة مبسطة وإشراكه أخيرا في حياتنا اليومية، وإن لم نستطع علينا أن نطردهم بعيدا عن العالم المتمدن»[1].

أهداف التعليم عند لافيجري:

غرض لافيجري التنصير والاحتلال الكامل للجزائر، وجعلها مهدا للمسيحية ومنطلقا جديدا لتنصير إفريقيا واستعمارها، أي تنصير واحتلال الأراضي التي اكتسحها الإسلام من النصرانية، ثم التوغل في إفريقيا لتنصيرها ونهب خيراتها بواسطة فرنسا وريثة الدولة الرومانية القديمة كما بين ذلك في رسالته الشهيرة إلى رهبان الجزائر حيث قال:« إنني سميت لتحقيق الفتح معكم، ولجعل الأرض الجزائرية مهدا لأمة عظيمة، سخية نصرانية فرنسا أخرى، وفي كلمة واحدة: نشر من حولنا الأنوار الحقيقية لحضارة يكون فيها الإنجيل المنبع والقانون وحمل هذه الأنوار إلى... قلب هذه القارة الكبرى السابعة في الوحشية، وذلك هو المصير الذي اختاره لنا الإله»[2].

فالتعليم هو الجهاز الكفيل بتحقيق كل هذا أو بالتالي يجب أن تبنى برامجه على ما يلي:

❶ **محاربة القرآن** : أدرك لافيجري أن أكبر عائق له هو القرآن الكريم؛ فهو الذي اكتسح مناطق النصرانية، كما أنه يقف سدا منيعا أمام مشروعه التنصيري، ويقاوم الاستدمار الفرنسي ومن هنا كانت كراهيته شديدة حيث عبر عن ذلك في مناسبات عدة، كالمحاضرة التي ألقاها على الآباء البيض، حيث قاله فيها:«... غايتنا الحيلولة مابين المسلمين والقرآن، وسنبقي مسيحيين كلابا مادام هذا الكتاب–القرآن–متواجدا في منطقة شمال إفريقيا»[3]، وذلك كان من ضمن الانتقادات التي وجهها إلى حكومة بلده وهي لماذا سمحت للجزائريين بتعلم القرآن، بناء المساجد وأداء فريضة الحج، لأنه يجب الإيقاف الفوري لكل ذلك، وهو ما نفذه فعلا حاكم الجزائرالعام الأميرال قيدون بعد سقوط العسكريين وتولي المدنيين السلطة في الجزائر بعد ثورة 1871م فقيد حرية تنقل رجال الطرق ومنع زيارتهم وصرح بمنع أداء فريضة الحج

---

[1] عمر الحربي، التبشير وعلاقته باستعمار البلاد التونسية ، المرجع السابق، ص 68.

[2] MGR . Baunard le cardinal la viguerie . paris. 1896.p 165.

[3] GR Goyon vision d'Afrique , paris , 1890 p 6.

وتبني رسميا سياسة التنصير فأطلق عليه المعمرون الفرنسيون لذلك الأميرال كاردنيال[1]، وهكذا أخذ رجال الاستعمار بنصائح لافيجري في محاربة القرآن فمنعوا-بعدها أخذوا في تطبيق برنامجه-تفسير آيات الجهاد في المساجد التابعة لفرنسا لغاية الاستقلال كما صرح أيضا: «... فأول واجب تقوم به في هذا الميدان هو الحيلولة بينهم-أي الأهالي-وبين القرآن، ينبغي لنا على الأقل أن نهتم بالصبيان، وندخل في عقولهم تعاليم الإنجيل، وبعد هذا يمكننا أن نخالطهم وإلا فلنبعدهم إلى الصحراء بعيدين عن الشعب المتمدن»[2].

كذلك قوله:«... إن التاريخ والإنجيل يؤكدان لنا أنه من العار على فرنسا أن تترك الأهالي في حظيرة القرآن» هذا يثبت أن لافيجري صاحب نظرية التنصير القصري، كما أكد أن سبب عدائه للقرآن هو أنه اعتراض الاحتلال النهائي الفرنسي للجزائر حيث قال في توجيهه للآباء البيض:« أن ما يعترض سبيلنا للاحتلال النهائي للمنطقة هي في الواقع مسألة دين كما قلناه مرارا»، كما أظهر قلقه من القرآن لأنه أحس بتمسك الجزائريين به منذ احتلالهم له، وأنهم يعتقون به فيحمون ومن ذلك قوله:« إن الجهود التي بذلتها الحركة الصليبية في مختلف أشكالها ومظاهرها، كانت دائما مع القرآن... وما دمنا على هذه الحالة، فإننا عاجزون عن الوصول إلى أية غاية، ولو كان ذلك بعد ألف سنة وسوف نبقى كلابا نصارى، وسيكون ذبحنا وإلقاؤنا في البحر عملا مقدسا يثاب علية فاعله مادام القرآن مرجعه ومصدره» فحقد لافيجري جعله يتهم القرآن بأنه شريعة عمياء مبنية على الكذب سيطرت على الجزائريين بدون حجة[3].

❷ **محاربة اللغة العربية:** ذلك لأنها لغة القرآن، فمن جهلها جهله، والقضاء عليها قضاء عليه، وقد بدأ باعتبارها لهجة من لهجات إفريقيا الفلكلورية وتطورت الفكرة عند الآباء البيض لتصبح دعوة إلى العامية بدل الفصحى وازدهرت بعد الحرب العالمية الأولى لضرب الحركة الوطنية في الجزائر، وأصبحت عند دعاة الحركة البربرية قاعدة أساسية من قواعد حركتهم وهو ما يبين الأساس التنصيري لأولئك الدعاة.

---

[1] عبد الجليل التميمي، من ملامح التذكير التبشيري عند المسؤولين الفرنسيين في القرن 19م في الجزائر، المرجع السابق، ص 1004.

[2] المهدي البوعبدلي ، أثار التبشير المسيحي في الجزائر ، المرجع السابق، ص 1344.

[3] Abde felisc kelun cardinal viguerie et ses œuvres d'Afrique , paris , 1897 , p4.

نستشف من هذا أن لافيجري لم يقتصر على الهجوم على القرآن الكريم، بل تعداه لتهيئة كل الوسائل الضرورية لمحوه من الوجود، ومن أهم تلك الوسائل، القضاء على اللغة التي نزل بها[1].

❸ **الفرنسة والإدماج** : الفرنسة والإدماج أمران مترابطان، والإدماج لا يحدث ألا عن طريق التنصير أما الفرنسة فيقرر لافيجري: «... وعلى فرنسا أن تعمل على فرنسة مليون بربري دون العرب»،أي لبد من العمل على تمزيق وحدة الشعب الجزائري بتقسيمه إلى بربر يجب أن يفرنسوا ليعودوا إلى أصلهم الغالي، وعرب يجب أن يجهلوا بحرمانهم من تعلم القرآن وإبعادهم عن شيوخ الطرق الذين كانوا يعلمون الشعب أمور دينهم، ومنعهم من تعلم اللغة العربية[2].

وبهذا يستطيع أن يخلق صراعا حادا بين العربي المسلم الذي جهل، والبربري المسلم الذي فرنس، وتنتشر هذه الفكرة الخطيرة داخل المؤسسات التعليمية والمؤسسات الإحسان، وتنفذ عن طريق الفرنسة أي فرنس البربر دون العرب، لذلك نجد المؤسسات التعليمية التي أنشأها لافيجري جعل أهدافها الكبرى تقسيم المجتمع الجزائري إلى بربر مفرنسين يقومون في المستقبل بنفس الدور الذي يقوم به رجال الاستعمار أي التنصير وتثبيت الاستعمار وعرب يكونون أقل مواطنة منهم[3].

❹ **إشعار الناس أنهم من أصل روماني أو غالي-لا عربي-:** يزعم لافيجري أن البربر كانوا نصارى لأن بلدهم كان تابع لروما، والإسلام ما هو ألا دخيل عليهم قهرا، لذلك يجب محاربته ومحوه وإرجاعهم إلى أصلهم النصراني، ولتحقيق هذا الغرض أخذ ينقب بكثب عن تاريخ الكنيسة الإفريقية واستعان بنخبة من المتخصصين واعتبر نفسه محي أمجادها ووارث كرسي القديس سيبريان، وظهر هذا في خطبه ورسائله، كما كان يوصي المبشرين بأن يركزوا على تذكير الأهالي بأن أجدادهم كانوا نصارى دخلوا في الإسلام قهرا، ولذا يجب أن يعودوا إلى أصلهم النصراني[4]، وفي محاضرة ألقاها على الآباء البيض في البيت المربع بالجزائر بعنوان: " كيف انتشر الإسلام في منطقة شمال إفريقيا" قال فيها :« منذ 13 قرنا والإسلام يعيش في

---

[1] محمد عزوي ، تعقيب على محاضرة عثمان الكعاك ، التبشير والتخطيط التبشيري ، الملتقى السابع ، م3 ، ص 1206.

[2] عمر الحربي ، التبشير وعلاقته باستعمار البلاد التونسية ، المرجع السابق، ص 63.

[3] المرجع نفسه ، ص 64.

[4] المرجع نفسه ، ص 53.

هذه المنطقة بعد إزاحته هيبة الإمبراطورية الرومانية عن هذه الربوع، و استطاع أن ينجح دون أي قاعدة شرعية و لا برهان ديني، وما هيمنته على هذه المنطقة إلا نتيجة تركيزه على العاطفة والقوة والقهر، وعليكم أن تعلموا أن هذه الأرض بالجزائر صليبية الأصل، مسيحية العقيدة و الحضارة... علينا واجب تطهيرها من "أدران الشرك الموجودة"، و عند ذهابه إلى تونس طلب من بايها منحه قطعة أرض بجانب معهد "سان لويس" لإقامة مكتبة للتراث النصراني في تونس قبل الإسلام، ووصل به استغلال العامل التاريخي إلى نبش قبور ما قبل الإسلام بحثا عن الآثار النصرانية لإثبات نصرانية المنطقة وذلك للربط بين الاستعمار الروماني المنصرم للمنطقة و الاستعمار الفرنسي الحالي، كما يمكنه ذلك من تحويل اعتزاز الناس بالإسلام إلى العمل على إحياء تراث ما قبل الإسلام والاعتزاز به وبالتالي القضاء على العائق الأكبر –الإسلام– أمام أطماعه[1].

ومن هذا يتضح أن استغلال التاريخ والعمل على إرجاع الاعتزاز بما قبل الإسلام نقطة اتفق عليها رجال التبشير، وهذه القضية طورت بعد ذلك وربطت بفكرة التجنيس فجاء "غوبينو" وأعلن أن البربر ليسوا عربا وجاء "شانتر و برتولون" وأعلنا أن الأقيسة الأنتروبولوجية تفيد أن الدماغ البربري والدماغ العربي مختلفان وجاء "لاروس مونيكس" وأعلن أن الجنس الأصلي في الجزائر هو جنس يطابق تماما الجنس الغالي، أي الجنس الفرنسي القديم وجاء "دولار" و "شمونتيكس" وأعلن أنهم غاليون وبما أن البربر غاليون و الغاليون هم الفرنسيون فقد وجب أن يصبروا فرنسيين[2].

وبالتالي لابد من التجنيس حتى يرجع الغاليون –البربر– الذين فصلهم العرب عن فرنسا إلى أصلهم الفرنسي، ولتحقيق هذا الغرض فقد اهتموا بالبربرية –القبائلية– باعتبارها لغة هؤلاء الغاليين واعتبروا أن لها أدبا، شعرا، مسرحا، قصصا وفصاحة وبلاغة[3].

فقام لافيجري بفرنسة مليون بربري دون العرب وهذا ليجعل شمال إفريقيا بلادا نصرانية، ولتحقيق هذا الغرض فقد ركز الآباء البيض على بلاد القبائل تركيزا كبيرا ويظهر ذلك في الرسالة

---

[1] عبد المجيد الشرفي، الحركة التبشيرية في تونس ، المرجع السابق، ص 151.

[2] عثمان الكعاك، التبشير والتخطيط التبشيري، المرجع السابق، ص 1143.

[3] المرجع نفسه، ص 1234.

التي وجهها عامل عمالة الجزائر إلى الحاكم العام للجزائر والمؤرخة في 09 جويلية 1880م ونصها: « أظن أنه من المفيد أن أخبركم عن الأشغال الكبرى التي ينجزها حاليا الآباء البيض الموجودون في ثاقمونت أو عزوز (دوار بني محمود بلدية يسر المختلطة)، أن المباني التي شيدها هؤلاء المبشرون يمكن أن تقدر بمبلغ أربعين ألف فرنك»[1]

- **مسح آثار التدمير والبطش الفرنسي:** وذلك بتحبيب الناس في رجال الاستعمار الذين حطموهم وحطموا بنيتهم الحضارية لإبقاء الاستعمار إلى الأبد، وقد بين لافيجري الحالة المزرية التي آل إليها أمر الأهالي من آثار التدمير المادي والمعنوي، ثم بين ما يجب أن يعمله المبشرون لإزالة آثار ذلك واستغلال نفسية الجزائريين المحطمة، حيث جاء في رسالة إلى أحد نواب الجزائر في 1874م أي بعد الدمار الذي حل بالبلاد بعد فشل ثورة المقراني:« لقد حرم المجتمع العربي من كبار رؤسائه وفقد القبائليون جماعاتهم العتيقة وأزيل القضاة المسلمون في كل مكان وتغيرت الملكية وانتقلت الأراض إلى أيدي المعمرين...» [2].
- **تكوين مبشرين من الأهالي:** وهذه الغاية يقررها لافيجري صراحة بقوله :« إن هؤلاء الأطفال أهمية كبرى، فبدورهم لا تستتب لنا الديمومة و الاستقرار في المنطقة لأن المبشرين الأوروبيون لا يستطيعون الثبات أمام التقلبات الطبيعية، كما أن هناك صعوبة في الاتصال بالناس، وإتقان لهجاتهم ولغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأكلهم ولباسهم، وكل المعاملات التي تتم بينهم، فمن الصعب على الراهب الفرنسي أن يتقن ذلك، إذ هو متميز بلباسه وأسلوبه ولغته وحتى في بشرته فهو مكشوف عندما يقوم بحركة، فواجب الفرنسيين إذن السهر والرعاية التامة لهذه المشتلة، وعليهم إعدادها على أحسن وجه، يكون ذلك بالمواظبة والديمومة، عندما تجد فرنسا قد أعدت مبشرين أفارقة دما ولحما ولغة وجنسا»[3].

ومن هنا تتضح أهمية هذا النوع من المبشرين إذ من خلالهم يضمن ديمومة الاستعمار، ضمان استمرارية التبشير بالإضافة إلى أن تبشير الإفريقي للإفريقي أنجح من تبشير الفرنسي حيث لا حاجز

---

[1] عثمان الكعاك ، التبشير والتخطيط ، المرجع السابق ، ص 1235.

[2] علي مراد شارل دي فوكو، في نظر الإسلام، ترجمة علي مقلد، المطبعة البولسية،(دط)، 1980، ص ص79،80.

[3] Gardénal Lavigerie , Ecrits d'Afrique Recueillis et présentés par A . Hamman , paris ; 1966 , p 126.

نفسي بين الأهالي، كما أن تكاليف التبشير سوف تضمحل لأن الإفريقي هو الذي يصبح ممولا وليس فرنسا، وتحول الصراع الذي كان بين الأهالي والفرنسيين إلى الصراع بين الأهالي فيما بينهم[1].

هذا التعليم لكي يكون مثمرا فقد ضم إليه لافيجري التبشير عن طريق الإحسان وذلك لإغراء الفقراء والضعفاء باستدراجهم فيتمزق بذلك ستار الإسلام الذي لا يقطع الحائل بين لافيجري وأولئك البؤساء، و بالتالي هذه هي أهداف التعليم عند لافيجري حيث يتعلق اثنان منهما بالحركة البربرية وهما الفرنسة والإدماج وإشعار السكان بأنهم من أصل روماني.

بعد كل الذي قام به لافيجري مع القبائل اتجهت أنظاره نحو الصحراء بحجة تأمين الطريق أمام المبشرين اللذين يقصدون إفريقيا السوداء وقد صرح:« إن الجزائر باب مفتوح بيد العناية الإلهية على قارة متوحشة يعيش عليها ملايين النفوس»[2].

وبدأ سنة 1876م بإرسال البعثات التبشيرية عبر الصحراء، فبعث بثلاثة وهم : الآباء بولي، موريد، بوشاند إلى بلاد التوارق للمرور إلى السودان ولكن الآباء لم يتجاوزوا القليعة–المنيعة حاليا– حتى قتلهم التوارق الذين كلفهم لافيجري بمرافقتهم ورغم هذا لم يتراجع وأصدر قرار سنة 1878م إلى الأب ريشارد رئيس البعثة الدينية في ورقلة للانتقال إلى غدامس ويتخذها مقرا للبعثات التنصيرية، وبعد قضائه بصفة أشهر قام الأب ريشارد برحلة استكشافية دينية متجولا في بلاد التوارق دون أن يقع له مكروه وقد اعتبر ذلك فتحا عظيما، وتشجع لإرسال بعثات تنصيرية إلى البلاد لكن مقتل الكولونيل "فلاتر" من طرق التوارق أوقف النشاط التنصيري مؤقتا حتى تهدأ النفوس ثم قتل الأب ريشارد في غدامس رفقة أثنين من القساوسة، وهكذا سقط في الصحراء في ظرف 5 سنوات ست قساوسة وأصبح اسم التوارق يثير الخوف ويحرك الذكريات المرة في نفوس الفرنسيين[3].

أراد لافيجري إقرار السلطة الفرنسية في الجزائر عن طريق تنصير المسلمين، غير أن تخوف القوة العسكرية من عواقب التنصير وقف ضد مشروعه في إنشاء القرى المسيحية بسبب عجز الجيش

---

[1] Gardénal Lavigerie , Ecrits d'Afrique Recueillis et présentés par A . Hamman , paris ; 1966 , p 129.

[2] إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ص 110.

[3] المرجع نفسه، ص 112.

عن حمايتها، ومعارضة المسلمين له بكل شدة وأظهروا عدوانهم لمشروع التنصير منذ البداية واتهام خصومه له بتبذير الأموال والاستيلاء على أحباس المسيحيين في تونس التي كان له دور كبير في فرض قانون الحماية عليها في 1881م.

ونظرا لكل هذا اعترف لافيجري قبل وفاته بفشله إذا انقطعت عنه بعض المنظمات مددها وفقد نصرة البابا الذي أصبح يشكو منه، فأصيب بالشلل ولزم بيته إلى أن توفي سنة 1892م بالجزائر ودفن بها، وتم حل فرقة الأخوة البيض بقرار من الوالي العام كامبون[1].

2) شارل دوفوكو : (1858-1916) :

بعد هلاك لافيجري في ديسمبر 1892م استقطبت الاهتمام شخصية أخرى لها وزنها في التاريخ التنصير والكنيسة والتمكين للاستعمار، هي القسيس شارل دوفوكو المولود بفرنسا في 15 سبتمبر 1858م[2] يعد أكبر مستكشف ديني-نصراني-للصحراء ومن أخطر المنصرين، إذ تمكن خطورته في أنه عقلية علمية من الدرجة الأولى، وفي أنه يحمل في نفسه شعلة متقدة من الإيمان برسالة فرنسا الحضارية التنصيرية، ويجد لذة في المتاعب، وفي التضحية بالراحة ومنع الحياة.

بدأ حياته باللهو والمجون رغم وفاة والديه في صغره، درس في مدينة "سان سير" وأنهى دراسته ليتخرج كنقيب للفرسان، ولكنن طابع الكآبة غلب عليه فعاد إلى المجون من جديد، ولما أتعبته المشاكل وفشل في مواجهتها استقال يوم 20 مارس1881م، وانزوى في مدينة "إيفيان" حزينا، وفجأة تحول الشاب دوفوكو إلى الأب دوفوكو، ليقتحم إفريقيا بكل مناطقها من المغرب الأقصى إلى صحراء الجزائر[3].

في 10 جوان 1883م تنكر دوفوكو في هيئة خادم شرقي برفقة الدليل اليهودي ماردوشي ليدخلان المغرب الأقصى لاكتشاف مدنه وطرقه، ومن ثم يستمر دوفوكو في رحلته لاكتشاف عمت الأطلس

---

[1] محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي (بلاد المغرب) ، ط2 ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1961م ، ص 239.

[2] السهدي البوعبدلي ، أثار التبشير المسيحي في الجزائر ، المرجع السابق ، ص 1360.

[3] إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها،المرجع السابق، ص 113.

الأعلى، وذلك بعدما كان قد التقى قبلا(في أكتوبر1880م) بالأب هوفلي ليقرر في كنيسة القديس أوغسطين بداية مهام التبشير.

وفي جانفي1890م بعد رحلة إلى المشرق وصل إلى بني عباس والجنوب الوهراني مرتديا قندورة بيضاء مسيحية يتصدرها قلب أحمر كبير مغروس بصليب، وبنى ديرا لإكرام عابري السبيل وكان يتظاهر في هيئة الأخ العالمي الكوني باسم المسيح الذي يحمل صليبه.

واختار واحة بني عباس ليتخذها مستقره في مرتفع صخري، وكان يفد إليه ما لا يقل عن 100 بائس يوميا.

وقطع خمسة آلاف كلم راجلا في الصحراء ليصل بعد 10 أشهر وأخذ في تعليم اللهجة التارقية بعد موافقة رئيس التوارق-موسى أغا امستان-على الإقامة بينهم[1].

وفي 1905م استقر دوفوكو بتمنراست وظل بها إلى عام1916م، في سبتمبر أخذ دوفوكو رهينة تصلح للتفاوض مع زعيم الهقار موسى أغاستان، ويوقف بول مبارك خادم دوفوكو الذي علمه ونصره، ولكن القلعة حوصرت وعلى حين غرة يقع الاشتباك وفي حالة الفزع والذعر يطلق حارس الرهينة الرصاص خطأ فيسقط دوفوكو بطلقة واحدة سريعا دون صراخ[2].

الشخصيات التي تأثر بها : تأثر دوفوكو بالعديد من العلماء والمفكرين ورجال الإكليروس الفرنسيين ن كما تعاون مع معاصريه منهم :

- **أرنست رينان (1823-1892):**

كان أستاذا في الكوليج دي فرانس عالما بالساميات و مؤرخ أديان، أهم ما أنتج بحثه حول أبن رشد (1855)، كذلك المحاضرة التي ألقاها في السربون في 29 آذار سنة 1883م بعنوان: الإسلام والعلم وقد نشرت في صحيفة المناقشات وأدت إلى المناظرات الشهيرة بينه وبين جمال الدين الأفغاني الذي كان يقيم آنذاك بباريس ومن خلالها يتضح لنا التصور السائد في الجامعات الفرنسية حيث كانوا

---

[1] عبد القادر رزيق المخادمي، الأب شارل دوفوكو أو "نبي" الهقار ، الشروق الثقافية (مجلة الشروق)،العدد 44، 26 ماي 1994، ص 23.

[2] المرجع نفسه ، ص 24.

يرون أن الإسلام هو سبب الانحطاط في الدول الإسلامية وسقوط دولها، وأن الإسلام لم يأتي إلا بالضرر للعقل البشري والكسل الفكري، فهذه الأفكار التي نشرها رينان تأثر بها دوفوكو وبشخصية رينان[1].

- **لافيجري :**

تعد أراء لافيجري ومواقفه اتجاه الإسلام قدوة لدى دوفوكو خاصة وأنهما متعاصرين، وقد عمل دوفوكو تحت قيادة لافيجري في الجزائر، خاصة وأن لافيجري كان يعتبر الإسلام ظلمات بربرية وموت، مما يحتم محوه ومحو واقعه ودمج الجزائر وإفريقيا تدريجيا بالبشير وتربية أطفال المسلمين ليتوصلوا إلى طلب التنصير إراديا.

ولتحقيق هذا الهدف لبد من البطش والقمع، أي التحضير القصري، كل هذا لنشر الحضارة والخلق المسيحي وهذه المهمة نذر دوفوكو نفسه لها[2].

- **هنري دوفيريي :**

ولد في باريس سنة 1840م درس بفرنسا ثم ألمانيا التي تأثر بمستشرقيها ومستكشفيها وتعلم منهم اللغة العربية وفي سنة 1857م قام برحلة تمهيدية إلى الجزائر وصل إلى الأغواط والهضاب العليا والأوراس ولما رجع إلى بلده نشر دراسة في مجلة الجمعية الشرقية ببرلين عن القبائل البربرية وتحتوى على ترجمة لبعض مفرداتها التي كان لها أثرها فيها بعد على صديقه شارل دوفوكو[3].

- **لويس ماسينيون :**

ولد بشمال باريس في 1883/07/25م درس الثانوي في ثانوية لويس الأكبر في باريس، أبدى منذ صغره اهتماما كبيرا بالشرق ولغاته، وبعد الثانوية درس الأدب الفرنسي والتاريخ وعلم الآثار وبعد تحصله على اللسانس في 1902م تطوع في خدمة العسكرية وسكن في حجرة واحدة مع اليهودي المتحمس"جان ريتشارد بلوك"، ثم سافر إلى المغرب ودرس التاريخ والجغرافيا والتصوف الإسلامي،

---

[1] علي مراد، شارل دي فوكو في نظر الإسلام ، المرجع السابق ، ص ص71-73.

[2] المهدي البوعبدلي، أثار التبشير المسيحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 1351.

[3] إسماعين العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المرجع السابق ، ص 94.

كما تعرف على الأب لويس شيخو اللبناني[1] كما ربطته في سن الشباب صداقة عميقة بدوفوكو، وأرسل لويس إلى دوفوكو كتابه "ليون الإفريقي وجغرافية المغرب". وقال دوفوكو لماسينيون بأنه سوف يصلي من أجله، وقد كان ماسينيون يلح على القضاء على الإسلام قائلا: «... كم كانت تساورني رغبة ملحة في أن أفهم الإسلام وأن أقهره، مهما كان الثمن» وهذا ما تمثله بنصه شارل دوفوكو، بالإضافة إلى تبني ماسينيون القضية البربرية وسخر دوفوكو جزءا كبيرا من حياته لها[2].

أما بالنسبة إلى الأدوار التي قام بها دوفوكو نذكر منها:

- ✓ **الاشتغال بالجوسسة والاستكشاف للتمكين الاستعمار:** تمثل ذلك في رحلاته حيث قام برحلة إلى المغرب ثم عودته إلى الجزائر حيث أنه بعد وصوله إلى الجزائر العاصمة اتصل بمحافظ المكتبة الوطنية المستشرق ماك كارتي ليفيده في المشروع الذي كلف به وهو الذهاب إلى المغرب بغرض الجوسسة وتصوير خريطة جديدة للمنطقة إذ أن الخريطة التي رسمها الجغرافيون قبله لم تتجاوز 689 كلم[3]، وقد كلف ماك كارتي دوفوكو بهذه المهمة لأنه أدرك شغفه بهذا العمل، وقد أدرك دوفوكو مبكرا رغبة فرنسا في احتلال المغرب فأخذ يصور الشمال الإفريقي بصورة طائر، جسده الجزائر وجناحه الأيمن في تونس والأيسر في المغرب وظل يلح في احتلالهم قائلا: « لا يمكن للطير الفرنسي أن يبقى بدون جناحيه فقرر البدء بالمغرب وأخذ يبحث عن الوسائل التي تمكن من احتلاله»، مما جعله يمكث عاما كاملا بالجزائر من مارس1882، إلى جوان1883م ليعود لرحلته الطويلة إلى مراكش وأعد الوسائل لذلك، وبعد هذا الاستعداد انطلق رفقة اليهودي حاييم مردوخاي أبي سرور إلى المغرب وظل بها من 1883إلى1884، وتمكن من تصوير 2250 كلم وتنكره بالزي اليهودي إذ أن المغرب بها سوى المسلمين واليهود[4].

---

[1] جوليو باسيتي ساني، لويس ماسينيون الدارس المسيحي للإسلام، ترجمة سعدون السويح، مجلة الدعوة الاسلامية، العدد4، ليبيا 1987، ص 441.

[2] أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة خلف محمد الجراد، مراجعة وتقديم محمود حمدي زقزوق، سلسلة عالم المعرفة الكويت، 1996، ص 118.

[3] المهدي البوعبدلي، أثار التبشير المسيحي في الجزائر، المرجع السابق، ص 1359.

[4] علال الفاسي، نشاط التبشير ودوره الاستعماري التخريبي بالأمس واليوم وما يجب القيام به إزاء هذا العمل الخطير، م3 ، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي، تيزي وزو، 1973، ص 1104.

وبعد رحلته هذه دخل أرض الجزائر في 31 ماي 1884، بعد أن شق المغرب شمالا وجنوبا ومن الشرق إلى الغرب فنال جزاء ذلك وسام التقدير الأكبر.

وبعد ذلك بلغ كل ما جمعه لمخابرات بلاده، فاتجها إلى باريس وأمضى صيف1884 و دزن هناك مذكراته عن هذه الرحلة، وكل هذا اعتبر معلومات دقيقة ومهمة للجيش الفرنسي الذي اعتمدها في اختراق الصحراء الجزائرية وغزو المغرب في 1911م.

وكان منهجه في رحلته هو: الاهتمام بالمناطق المجهولة التي لم يدخلها أسلافه، التنكر استجابة لتجارب السابقين، التهود والتظاهر بالشيخوخة إلى حد تقمص شخصية اليهودي المتسول، ملازمة العزلة، الاعتماد على مساعدة اليهودي أبي سرور[1].

دوره التنصيري :

عندما عاد دوفوكو إلى الجزائر أظهر التعبد والنسك وبذل جهودا جبارة في التبشير والعمل على تنصير المسلمين، فاستقر في بني عباس، وذلك لأهميتها الإستراتيجية إذ هي عبارة عن واحة تملك في جنوب وهران وتابعة لها إداريا، وعبر دوفوكو على أهميتها الإستراتيجية بقوله:« ومن هذه الواحة يشرف الناظر على صحراء حمادة الواسعة، ويمتد بصره في سماء صافية لا نهاية لها وتذكرنا بذات الإله الأعظم»[2].

ولقد حاول في بني عباس تنصير الكبار ففشل فاتجه إلى الصغار ففشل أيضا، فاتجه صوب التوارق واستقر في الهقار وبدأ في دراسة نفسية السكان وطبائعهم، وكان تحت حماية صديقه الجنرال لابرين يسعى إلى تحطيم البنية الثقافية والاجتماعية للتوارق، وذلك اتجه إلى أعلى قمة بالهقار (اسكريم) التي يبلغ ارتفاعها 2700 م وبني سكنه الخاص بها زاعما أنه فعل ذلك ليعزل بها ويتأمل، وذلك لأنه أدرك أن هذه المنطقة تعد المعقل الذي استعصى على النفوذ الأجنبي[3].

وقد كان دوفوكو مقتنعا بأن التنصير هو الوسيلة الوحيدة لتثبيت الاستعمار لذلك بذل جهد لإقناع حكومة بلاده أن يعمل على تنصير المسلمين وهو ما ذكره في مذكراته في16جويلية1916م قائلا:«اعتقد أنه إذا لم يتم تنصير السكان المسلمين في مستعمراتنا بشمال إفريقيا فان حركة وطنية

---

[1] المهدي البوعبدلي ، آثار التبشير المسيحي في الجزائر ، المرجع السابق ، ص 1360.

[2] إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المرجع السابق ، ص 113.

[3] علال الفاسي ، حديث عن التبشير وبعض الوثنيات الطائفية الهندية ، سلسلة الجهاد الأكبر ، الرباط ، 1974 ، ص 4.

ستقوم على غرار ما حدث بتركيا، وأن نخبة من المثقفين ستتكون بالمدن الكبرى متأثرة بالفكر الفرنسي دون أن يكون لها إحساس الفرنسيين ولا طيبتهم، وأن هذه النخبة ستحتفظ بمظاهر الإسلام رغم ضياع روحه لتؤثر بها على الجماهير... الوسيلة ليصبحوا فرنسيين هي أن يصيروا نصارى»[1].

وكان منهج دوفوكو يقوم على مجموعة من الخطوات المترابطة المتناسقة التي يمكن أن نلخصها في ما يلي:

1. تحطيم البنية الثقافية والاجتماعية :

تقوم خطة دوفوكو التنصيرية الاستعمارية أساسا على فهم الأوضاع الثقافية والاجتماعية والتاريخية والجغرافية لسكان الصحراء والانطلاق منها في التنصير والجوسسة والتمهيد للاستعمار، لذلك نجده قد ركز كثيرا على العلاقات الإنسانية في نشر أفكاره بين التوارق وذلك بعد أن درس جيدا الأوضاع الاجتماعية والثقافية للمنطقة[2]، وبما أن المنطقة كانت السيطرة فيها للفكر الصوفي على المجتمع حيث أن هذا التصوف كان له ايجابيات وكذلك سلبيات فعمل دوفوكو على استغلال السلبيات لبعض هذه الطرق كما حارب رجال الطرق الصوفية الصحيحة ليخلو له الجو، كما كان يتظاهر بالتصوف الحقيقي من جهة أخرى، وذلك لإدراكه العلاقة القائمة بين السكان وشيوخ الطرق فقرر استغلالها أبشع استغلال حيث أظهر لهم أن مكانه السيد الروحي أي المرابط الجزائري (شيخ الطريقة) تعطيه صلاحيات أكبر وأحسن من عامة الشعب وبأنه يجلس ويأمر ولا يقوم بأي عمل بل التابعين هم الخدم أما المرابط النصراني فهو عكس ذلك وهذا نرى أن دوفوكو يسعى إلى تحويل الناس من تقديس المرابط الجزائري إلى تقديس دوفوكو النصراني ويرى أنه إذا حقق هذا فأنه يحقق كل ما يريد[3].

ولتحقيق ذلك فقد تظاهر بالزهد والتواضع والتقشف وخدمة الفقراء والتصدق عليهم، والتظاهر المبالغ فيه بالتقوى إلى حد الثورة عندما تمس المبادئ الأخلاقية ولو من خلال النكت، ولذلك لخداع الصحراويين، فيعتقدون أن المبشرين انسلخوا بالفعل عن حياة الترف الغربية ليعيشوا زاهدين إرضاء ليسوع، مما يمكنهم من الاستحواذ على نفوسهم فيغيرون نظرتهم إلى المستعمر بعدما رأوا جيوشه

---

[1] علال الفاسي ، نشاط التبشير ودوره الاستعماري ، المرجع السابق ، ص 1105.

[2] علي مراد، شارل دي فوكو في نظر الإسلام ، المرجع السابق ، ص 30.

[3] المرجع نفسه ، ص 33.

تدمر كل شيء، والحقيقة أنه يريد خداع الناس وجعلهم جميعا خدم له، ومن هنا يتضح أنه أراد تكسير المرابطين الذين وقفوا في سبيله بسبب إسلامهم فقرر إزالتهم عن طريقه، وإلا سوف يستحيل عليه تنفيذ مشروعه التنصيري واستكمال الاحتلال[1]، فنجده كذلك قد أهتم بالبؤساء والمرضى وتوزيع الأغذية وتقديم الخدمات والأدوية إلى حد أنه قرر في 1902 في بني عباس غسل ثياب الفقراء و تنظيف منازلهم باستمرار و يقدم لهم بنفسه كل الخدمات في البيت كالطبخ وحمل ماء الشرب والطعام[2].

2. استخدام الأطفال للوصول إلى أوليائهم :

لما رأى دوفوكو حذر سكان الصحراء منه قرر الوصول إليهم بواسطة أطفالهم لتحبيبهم فيه ولمعرفة ما يفكرون به تجاه الاستعمار أي استخدام الأطفال بغرض التنصير والاستعمار وذلك لأنه ربط مصير النصرانية في الجزائر بمصير الاستعمار لقناعته باستحالة تثبيت احدهما دون الأخر، ويرى الأطفال هم أقل حيلة ومكرا، وبالتالي نقدم لهم هدايا بسيطة ونرعاهم قليلا، فان الأهل سوف يشكروك فالأم توجه لنا عبارة طيبة والأب يحيينا وحتى يطلب مقابلتنا ليشكرنا على طيبة قلبنا وبهذا تتحطم الحواجز التي كانت تفصل بيننا، وبالتالي فالطفل هو المستقبل وبعد عشر سنوات سوف يكبر أطفال القبائل وينمو معهم الولاء لكل أفكارنا[3].

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن دوفوكو قد استخدم الأطفال كجواسيس من حيث لا يشعرون على آبائهم و من هنا فأي دين هذا الذي يستغل الأطفال وجعلهم وسيلة جوهرية للوصول إلى معرفة ما يفكر فيه الكبار.

فنرى أن دوفوكو أدرك استحالة التنصير المباشر لتمكن الإسلام من نفوس الصحراويين فقرر ممارسته عبر مراحل معينة وهو ما بينه في مراسلته لصديقه هنري ديك كاستري: « إنها ليست أنجلة بالمعنى الصحيح، لست أهلا لها أنا، ولا قادرا عليها ثم أن الساعة لم تحن بعد، أنه العمل التمهيدي للأنجلة، إنها مرحلة كسب الثقة والصداقة» ثم بعد ذلك عاد دوفوكو في رسائله إلى هذه القضية من

---

[1] علي مراد شارل دي فوكو في نظر الإسلام ، المرجع السابق ، ص 36.

[2] المرجع نفسه ، ص 39.

[3] إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المرجع السابق ، ص 115.

جديد قائلا: « إن عملي المتواضع مستمر...علمي تمهيدي...إني لا أزرع، بل أمهد الأرض، وآخرون يغرسون وآخرون يحصدون»[1] وبهذا فان كسب قلوب التوارق بالتظاهر بالمحبة والثقة والصداقة والخدمات ليس لوجه الله بل ليكسب ثقتهم ثم كسب ضمائرهم بعد قلوبهم وزعزعة معتقداتهم بالتخلص كليا أو جزئيا من الإيمان الإسلامي والتنكر لدينهم، لأن هذا التنكر له هو الذي يحطم كيانهم الداخلي ويمزق وجدانهم ليقعوا بين مخالبه الطويلة وأنيابه الفتاكة فريسة سهلة وبهذا تكون المرحلة الأولى في التنصير هي ما عبر عنه في الأوضاع الاجتماعية والثقافية وتحطيم البنية الثقافية للمجتمع وبالتالي إحلال محتوى جديد بدل ذلك هو النصرانية والولاء لفرنسا كما حاول فهم أوضاع المجتمع، وأخذ يستخدم مصطلحات المرابطين كمصطلح الإخوان حيث شكل جمعية سماها الجمعية الإخوانية التي أصبحت جمعية عالمية مازالت موجودة إلى الآن[2].

ومن هنا يتضح بجلاء إتباعه في التنصير للخطوات الآتية :

- كسب ثقة التوارق بالتظاهر أمامهم بالورع والتقوى والزهد ومساعدة البؤساء وتقديم الخدمات.
- العمل بلا هوادة –دون أن يحس بذلك التوارق– على تحطيم البنية الثقافية والاجتماعية للمجتمع.
- الرغبة الأكيدة في العمل على زرع الاضطرابات في الأذهان[3].

ولكي يحقق ذلك الاضطراب ويتمكن من فصل السكان التوارق عن الإسلام وتقسيم المجتمع فقد أضاف إلى خطته التنصيرية الاستعمارية عملا أخر لا يقل خطورة عن احتلال الهقار وتمنراست وهو إتباع سياسة فرق تسد أو السياسة البربرية.

إن عمل دوفوكو الأخطر في نظرنا ليس الجوسسة رغم خطورتها ولا قتل الجزائريين ولا احتلال الهقار لكي العمل على تقسيم السكان إلى عرب وبربر متصارعين متطاحنين ثم تنصيرهم وفي هذا المجال قام بعملية تعد رائدة بالنسبة للتنصير والاستعمار هي إحياء **التيفيناغ** حيث عمل على إحياء لهجة التوارق وبكتابتها "تيفيناغ" التي تحتوى على نسبة كبيرة من حروف اللغة الفينيقية وكتابتها، وعمل في هذا الحقل عدة سنوات، مهتديا بما توصل إليه سلفه وصديقه دوفيريي، وأهم المؤلفات التي

---

[1] علي مراد، شارل دي فوكو في نظر الإسلام ، المرجع السابق ، ص 59.

[2] المرجع نفسه ، ص 62.

[3] المرجع نفسه ، ص 63.

ظهرت له في حياته هي: نحو "لغة تيفيناغ" و "قاموس فرنسي توارقي" وبعد قتله في 1916 عثر في منزله بتمنراست على مادة "موخر قاموس فرنسي" الذي نشر في مجلدين، كما ترك نصوصا توارقية مترجمة إلى الفرنسية في مجلدين من الشعر و النثر التوارقي[1].

وبعد هذا العمل أخطر عمل تنصيري، حتى ولو لم يستطع تحويل التوارق إلى نصارى ولكنه بقاموسيه وكتابه وعنايته بالتيفيناغ بعد المؤسس الحقيقي للحركة البربرية في الجزائر وكل هذا من أجل تقسيم المجتمع إلى قوميات وإحياء النعرات القومية وجعل الناس يعتزون بماضيهم ما قبل الإسلام على حساب الإسلام، بل جعلهم يتنكرون للإسلام ولغته والمنتسبين إليه ونشر الكراهية والحقد بين أفراد المجتمع الواحد، وعمل دوفوكو بعد تطبيقه لها دعى إليه من سبقه كل من لافيجري وبورغاد لكن هذان الأخيران كانا يدعوان إلى النزعة البربرية والعمل على إحياء ماضي ما قبل الإسلام لاستخدامه ضده من أجل التنصير والاستعمار[2].

لكن دوفوكو لم يكرر مزاعم بورغاد ولافيجري فحسب بل ليبني على ما توصلا إليه، وينتج لغة هي لغة **"التيفيناغ"** لتكون بديلا عن لغة القرآن الكريم وظهر هذا جليا في كتبه الثلاثة السابقة، وبالتالي نجد أن دوفوكو يواصل مشروع لافيجري في تقسيم المجتمع إلى عرب وبربر، وقرر العمل علة تقسيم السكان في الواقع على أساس عنصري إلى عرب وبربر حيث يقول:« إن سكان إمبراطوريتنا الإفريقية على أنواع مختلفة، فمنهم البربر وهم أقرب الناس إلينا ومنهم العرب: وهم أقل استعداد للتقدم» ويقول معلقا على تأسيس مدرسة: «لاشك أن هذه المدارسة لن يدخلها إلا عدد قليل من الأطفال العرب لكن الأطفال البربر الذين ينحدرون من سلالة طيبة هي على كامل الاستعداد للتأثير بالفكرة اللاتينية، التي عرفتها من قبل سيدخلونها كلهم»[3] لكن كل هذا لا يتم إلا بواسطة الفرنسة، حيث أن الفرنسة تكون بغرض التنصير وبهذا فدوفوكو يضم صوته للمفكرين الفرنسيين الذين يزعمون بالأصل اللاتيني للبربر، ولكن يحقق دوفوكو هذا ولنجاح خطته المتمثلة في السياسة البربرية فلابد من تحقيق ثلاثة أشياء هي :

---

[1] إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المرجع السابق ، ص 116.

[2] المرجع نفسه ، ص 117.

[3] علال الفاسي ، نشاط التبشير ودوره التخريبي بالأمس واليوم ، المرجع السابق ، ص 1107.

❶ مقاومة المحاكم الشرعية وإحياء ما يدعونه من أعراف قبلية كيفما كان أمرها:

إذ أن هذا وحده الكفيل بجعل الناس يقبلون قانونا مدنيا متطورا نحو القانون الفرنسي بسبب عجز الأعراف الجاهلية عن الحياة والاستمرارية مما يجعلها مضطرة تبحث عن الأفضل فإذا لم تجد في شريعة القرآن اضطرت إلى القانون الفرنسي بديلا عنها وبالتالي يصبح القانون الجزائري مستمدا من الناحية العملية من قانون فرنسا والعالم اللاتيني[1] أي تحويل الناس قهرا من التحاكم إلى الإسلام وشريعته إلى التحاكم بشرائع النصارى إذ اجبروا سكان القبائل الجزائرية للتحاكم إلى العرف القبلي منها منع المرأة من الميراث نهائيا في بلاد القبائل طيلة ما سبق وما لحق بعد دوفوكو من العهد الاستعماري إلى الاستقلال، حيث لو أراد شخص توريث المرأة فان المحكمة ترفض ذلك حتى لو كان ذلك عن طريق الوصية، وكل هذا من أجل إبعاد الإسلام عن تنظيم شؤون الناس وأبعاد الناس عنه وإرجاعهم جبرا إلى القانون الفرنسي وينتج عن هذا اتجاه الناس نحو العادات والتقاليد والأخلاق الفرنسية المتوافقة مع ذلك القانون المتناقض مع الإسلام، كما كان دوفوكو يعمل بلا هوادة للحيلولة دون فتح المحاكم الشرعية في التوارق وبهذا إجبار الناس عن اعتناق اللاتكية[2] .

❷ القضاء على اللغة العربية وإتباع سياسة الفرنسة :

وذلك من خلال المنع المباشر لتعليم اللغة العربية إذ أن دوفوكو كان يكره زعيم التوارق بسبب فتحه لمدرسة في تمنراست كما كان يعمل على خلق المدرسة البربرية التي يتم التعليم فيها بالفرنسية وحدها وجعل اللهجات البربرية تكتب بحروف لاتينية[3].

❸ الحيلولة دون اتصال سكان الجبال و المناطق النائية بالفقهاء:

حيث عمل الفرنسيون على منع الأهالي من الاتصال بالفقهاء و حفظ القرآن كما عملوا على القضاء على الكتاتيب و الإكثار من مراكز التنصير و الكنائس حتى يحل الراهب محل المرابط[4].

---

[1] علال الفاسي ، نشاط التبشير ودوره التخريبي بالأمس واليوم ، المرجع السابق، ص 1108.

[2] المرجع نفسه ، ص 1109.

[3] اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، المرجع السابق ،ص 114.

[4] المرجع نفسه ،ص 114.

و من هنا يتضح لنا أن دوفوكو قضى حياته التنصيرية في الصحراء و كان غاية في التنصير المسيحي و يقول عنه الجنرال منيه: "إنه كان دائما فرنسيا عظيما و جنديا متميزا بالرحمة و الإنسانية، كما كان داعية ناجحة". و أضاف الجنرال أن مراسلاته تكشف أنه دائما كان يلح على نشر النفوذ الفرنسي في منطقة الهقار و خدمة مصلحة بلاده و مراقبة الحركات الدينية السياسية في المنطقة كنشاط السنوسيين.[1]

إذ رجال الدين كانوا متوطئين على فكرة واحدة هي إرجاع البلاد المسيحية مهما كانت العوائق و العقوبات التي يلاقونها في طريقهم، و أنهم رغم الجهود التي بذلها الأساقفة المتداولين على تسير الشؤون الدينية الجزائرية، أعترف جلهم بخيبة أمل لأن أعمالهم ارتبطت بالروح الدينية القوية المتغلغلة في نفوس السكان المحليين[2].

و تراجعت الإرساليات المسيحية و تخلت عن التنشير و اكتفت بالمؤسسات الخيرية كالعلاج المجاني للمرضى و توزيع الصدقات و نشر التعليم، و لا يكاد يذكر نشاط تنصيري جهري خلال عقد الثلاثينية من القرن العشرين إلا الاحتفال المئوي لاحتلال الجزائر في 1930، الاحتفال بمرور قرن على احتلال قسنطينة في1937، فعقد مؤتمر الجزائر في 1938، احتفال أخر بمناسبة مرور قرن على إنشاء الأسقفية الكاثوليكية في الجزائر و قد اختيرت المناسبة أيضا لعقد المؤتمر الأفخارستي 1939، الذي أوضح فيه الأسقف فريديه أسقف باريس أهمية هذا المؤتمر التي ترجع إلى اعتراف بجميل أولئك الذين ساهما في احتلال الجزائر في 1830.[3]

ثم أخذت الإدارة الفرنسية تتفادى المجاهرة بدعمها لحركة التنصير، حتى أن جل الدول الاستعمارية تخلت عن حركة التنصير رسميا منذ 1940، و لكن كل مشاريعها تقريبا بقيت تصب في اتجاه واحد و تحقيق اندماج الجزائريين في بوتقة فرنسية عن طريق اللغة و الثقافة و القضاء و الإدارة و الجيش و نحوها.[4]

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج6 ، المرجع السابق، ص 135.

[2] المهدي البوعبدلي ، أثار التيسير المسيحي في الجزائر قبل الأحتلال و بعده ، المرجع السابق، ص 1340

[3] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ص 135.

[4] المرجع نفسه، ص 139.

بالرغم من تخلي فرنسا بصفة رسمية عن التنصير كحركة أو كسياسة إلا أن جذورها لقيت ممتدة حتى بعد الاستقلال و كل هذا أدى بالجزائريين إلى اتخاذ مواقف ضد هذه السياسة التي كانت لها انعكاسات على البلاد و العباد، و هذا ما سوف نوضحه في الفصل الموالي.

الفصل الرابع : ردود الفعل الجزائرية من سياسة التنصير وأثارها :

I. موقف المؤسسات الدينية الجزائرية:

مثلت الزوايا والمساجد والكتاتيب والمدارس الحرة التي أسسها الشعب الجزائري مستقلا بها الإدارة الفرنسية المؤسسات الدينية ويتمثل دورها في تعليم القرآن، مبادئ اللغة العربية وبعض العلوم الإسلامية وقد التف الشعب حولها وسوف نتطرق إلى هذه المؤسسات ومواقفها من سياسة فرنس التنصيرية :

أ- **الطرق الصوفية** : تكونت هذه الطرق في المغرب العربي في بعض الرابطات الجهادية التي أقامها العلماء والقادة لحماية الثغور والممرات الإستراتيجية المؤدية إلى أرض الإسلام، وعرفت فيما بعد بالزوايا وكانت هذه الأخيرة مركز للتعليم والوعظ، كما كانت مركز التحشد العسكري لأبناء المناطق المجاورة، ولقد لعبت دورا هاما في محاربة الغزاة البرتغاليين والأسبان الذين كانوا يهاجمون ثغور المغرب العربي، كما قامت بنشاط كبير في نشر الإسلام في أواسط إفريقيا[1].

عند بداية الاحتلال كانت السلطة الفعلية داخل البلاد للطرقيين، وأهم هذه الطرق في الجزائر هي: الرحمانية، التيجانية، القادرية، الحنصلية...الخ، وانطلقت بعض هذه الزوايا في بداية الاحتلال انطلاقة وطنية ودينية، فالمقاومات الشعبية كانت قد أعدت ونفذت بوحي منها، فالأمير عبد القادر نفسه كان ينتمي إلى القادرية[2].

ثم أخذت تتحول بعد زوال مؤسسيها الأولين إلى طرق صوفية اعتمدت الأدعية والصلوات الخاصة وادعى هؤلاء لأنفسهم امتيازات لا تتوفر لغيرهم من الأفراد العاديين ومن هنا كانت هذه الطوائف سلاحا حادا في يد العدو استعمله ضد الإسلام، بعد أن كان في البداية حائرا حين وجد

---

[1] أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين وأثارها الإصلاحي في الجزائر ، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1985 ، ص 56.

[2] أو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 37.

الأبواب مغلقة في وجهه ولقد أدرك المستعمر نفسه هذه المشايخ بعد قهرهم عسكريا، واستمالتهم مغذيا فيهم روح التفسخ الديني والانحلال الخلقي[1].

وقد أخذ المستعمر يغدق عليهم الأموال في سبيل إقامة الحفلات والولائم حتى تختفي زوايا القرآن والعلم وتبرز زاويا الشعوذة والدروشة والبندير مسيطرا بواسطتهم على مجموعة الموردين البسطاء ن وأخذ إعلام المستعمر يصور حلقات الذكر التي يقيمها هؤلاء على أنها شعائر الإسلام، وأن هؤلاء المشايخ هم رجال الإسلام وحماته وأخذ المستعمر هؤلاء المشايخ للتأثير على المسلمين الجزائريين لأنه رأى أن العمل الخارجي لا يؤثر ولا يجد نفعا لأن المسلم لا يثق بالكافر، إذا فالتخريب يكون من الداخل بأيدي أبناءها، فهذا هو التخطيط الاستعماري الإجرامي الذي نفذه هؤلاء العملاء[2].

إذا أن رجال الدين الطرقيين وجها من وجوه المقاومة الوطنية والفكرية في صورها الأولى، لكن قد تفطنت السلطة الفرنسية الحاكمة بالجزائر إلى أهميتها وتأثيرها على العقلية الجزائرية، فحاولت أن تستخدمهم كأحسن أداة للتوسع والسيطرة، وبذلك انحرفت عن مبادئها، ولم تمثل أي موقف أو دور إيجابي إزاء محاربة التنصير بل زادت من دعم هذه السياسة[3].

ب-**دور زوايا القرآن والمساجد والكتاتيب والمدارس الحرة:** لقد كان الغزو الفرنسي للجزائر عسكريا ودينيا وثقافيا واقتصاديا في آن واحد، وقد عمل منذ أن وطأت أقدامه الجزائر على محو شخصية الجزائريين القومية والدينية وذلك بالقضاء النهائي على الدين الإسلامي والثقافة العربية وإحلال الدين المسيحي والثقافة الفرنسية في إطار سياسة الإدماج والفرنسة والتنصير[4].

وعلى هذا الأساس صادر الجيش الفرنسي منذ السنة الأولى أملاك الأوقاف وحول المساجد إلى كنائس، وضايق العلماء ورجال الدين بالنفي والإبعاد، فقد تعرض إلى أعظم شخصية دينية إسلامية

---

[1] محمد نسيب ، زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر ، سوريا ، ص 38.

[2] المرجع نفسه ، ص 38.

[3] عميراوي حميدة ، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري لبداية الاحتلال ، ط1، دار البعث، الجزائر ، 1984، ص66.

[4] محمد نسيب ، زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، المرجع السابق ، ص 65.

والصغار و لم يعرف الفرنسيون لهذه الزوايا مثيل في أوروبا، ولذلك لم ينتبها لخطواتها الإبعاد زمن طويل[1].

ج- **جمعية العلماء المسلمين** : من تلك المؤسسات السابقة انطلق الطبعة الباحثون عن العلم والمعرفة هذا قاصد جامع الزيتونة، وذلك جامع الأزهر، وآخر المسجد النبوي بالمدينة المنورة، والمسجد الحرام بمكة وأخر إلى الشام والى جامع القيروان، هكذا تفرق طيلة الزوايا والمدارس على العالم الإسلامي ليتزود بالعلم، وبعد حصولهم على قسط من العلم عادوا إلى الجزائر ليواصلوا جهادهم ضد الجهل والاستعمار، فارتفعت أصوات علماء الإصلاح وراحوا يحاربون البدع والخرافات وينشرون الإسلام الصحيح، وأسسوا المدارس والنوادي، وإلقاء محضرات لتوعية الشعب ثم أنشئوا المجلات والجرائد التي كانت لسانهم المعبر عن جهادهم الصادق لاسيما جرائد الشيخ عبد الحميد ابن باديس التي كانت تحاربهم وتكشف عن نواياهم واستطاع بن باديس أن يجمع تلك الطاقات الموزعة ويضم تلك النخبة المثقفة ويؤسس بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[2] ويضع لها الخطة ويرسم لها الهدف، وهي مرحلة جديدة دخلتها الجزائر ولم تلبث أن محت الظلمة من سماء الجزائر[3].

فكانت الأمة بقيادة الجمعية تقدم تضحياتها لبناء المدارس والمساجد من أجل البعث الفكري والبعث الروحي اللذين هما أساس كل حضارة في سيرها الحثيثة[4].

وقد ركزت جمعية العلماء دعوتها على الدين وتطهير العقيدة من الشكوك والشوائب التي علقت بأذهان الناس من جراء الطرق الصوفية والكنيسة المسيحية، حيث أن هذه الأخيرة استعملت ما أمكنها من أدوات لتشويه العقيدة الإسلامية، لذلك كان هدف الجمعية دائما هو الوقوف ضد الطرق الصوفية وما تنشره من خرافات وأباطيل وتشويه للإسلام مع التواطأ مع الاستعمار، فالجمعية لم تكن تحارب

---

[1] أحمد بن النعمان ، التعريب بين المبدأ والتطبيق (الجزائر والعالم العربي) ن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981م ، ص 178.

[2] عبد القادر جغلول ، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر ، ترجمة سليم قسطوة ، ط1 ، دار الحداثة ، بيروت ، 1984 ، ص 16.

[3] عبد الرحمان سلامة ، التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية ، مكتبة الشعب ، الجزائر ، 1981 ، ص 23.

[4] مالك بن نبي ، شروط النهضة ، ترجمة عبد الصبور وآخرون ، دار العروبة ، القاهرة ، ص 39.

الطرق على أساس الخلاف في المسائل الدينية فحسب بل أنها كانت تعتبرهم عملاء للإدارة الاستعمارية وأذنابا لها، كما تعتبرهم أداة طيعة في أيدي السلطات لاستغلال الأهالي واضطهادهم[1].

فقد كتب الشيخ ابن باديس في أوت 1935 تعليق حول الزوايا ومكاسبها قائلا: « إن الذين يعرفون تاريخ النصرانية في القرون الوسطى وتاريخ النهضة الأوروبية يشهدون اليوم من أعمال الجمعية الدينية الإصلاحية وموفق الإدارة إلى جانب الزوايا الطرقية ضدها. صفة من ذلك التاريخ الماضي تعاد على أرض الجزائر اليوم، فالزوايا والطرقية تمثل الكنيسة ورجال الاكليروس، وفي ذلك العهد السحيق في إفساد النفوس والعقول للدجل والتحريف، والإدارة تمثل أمراء ذلك العهد في استعمال الكنيسة واستغلالها والجمعية الدينية والإصلاحية تمثل رجال الإصلاح على فارق في الوضع والأسلوب»، ومن هذا يتضح أن علماء الإصلاح كانوا واعين سياسيا وثقافيا ودينيا ويجادلون خصومهم بالأدلة والبراهين العلمية[2].

ومثال ذلك ما راوه الشيخ محمد خير الدين في مذكراته وهو من رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر ذلك الحوار الذي جرى بينه وبين رئيس المرتز الثقافي للمبشرين المسيحيين بمدينة ورقلة شارل دوفوكو قال: « انتشر في الصحراء أثناء النهضة الإصلاحية وزيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس لبسكرة مما دعا دوفوكو إلى زيارتي والتحاور معي حول الدين والعقيدة الإسلامية وهو نوع من الجدل الديني تصدت له النهضة ورجالها لتصحيح مفاهيم الإسلام وإقناع خصومه بالحجة والبرهان... زارني عدة مرات في مكتبي... ودارت بيننا مناقشات حول بعض آيات القرآن الكريم وما يعارضها حسب زعمهم من تعاليم الإنجيل... اقترحت عليه أن يقدم لي آراءه مكتوبة وأجيب عنها كذلك... أعرض عليك قائمة بأسماء شخصيات كبيرة من العلماء والفلاسفة من جنسيات مختلفة تخلوا عن عقيدتهم المسيحية واعتنقوا الإسلام... واقتناع بعد تأمل ودراسة، فهل لك أن تقدم لي نظير ذلك بأسماء وشخصيات هامة من علماء المسلمين... الذين تخلوا عن دينهم على أنه لا ينبغي أن تذكر

---

[1] رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900-1940)، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1970 ،ص60.

[2] عبد الكريف بوصفصاف ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)، ط1، دار البعث ، الجزائر 1981 ، ص ص202،203.

أسماء هؤلاء المسلمين المستضعفين الفقراء الجهلاء من النساء، المرضى، اليتامى... وقلت له أنني انتظر الجواب كتابة عن السؤال، فلم يجبني ولم يحاول الاتصال بي بعد ذلك إلى اليوم»[1].

وعلى حد قول الإبراهيمي « أن الراهب الذي جاءت به فرنسا جاء لينشر تعاليم عيسى بين أتباعه، وبث تسامحه بين أشياعه تلقى منا التبجيل والاحترام لأننا أعلم الناس بتعاليم المسيح، ولأننا نعتقد أن النبوات كلها حق وهداية وخير وأن لا حق بنسخ سابقها بما هو أكمل وأفضل وأجمل لشمل البشر، وأتقى للشر والفساد بينهم، لكن الراهب الذي جاءتنا به فرنسا إنما جاء ليبارك على القتل... ويعاون المعمر على امتلاك الأراضي... أفهذه هي المنقبة التي تفخر بها فرنسا وتعدها من وسائل التمدين بها إلى التاريخ»[2].

لقد أكدت مواقف و ردود رواد الجمعية جدارتهم في الدفاع عن الإسلام وحمايته بكل قوة مستغلين كل وسيلة الوصول إلى عقول الجزائريين البسطاء منهم والمثقفين للوصول كمانع حصين لكي لا تتسرب الثقافة الفرنسية، فالمدارس القرآنية والكتاتيب أدت دورها في جعل الجزائريين يتمسكون بالقران واللغة العربية وبذلك أثمرت من الثمرات الايجابية.

---

[1] محمد خير الدين ، مذكرات ، المرجع السابق ، ص ص98،99.

[2] محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ج2 ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ص ص64،65.

II. موقف المسلمين الجزائريين :

إن العامل التنصيري في الجزائر امتاز بالتخطيط المحكم والتنظيم الجيد، إذ كان مبنيا على الفهم العميق لخصوصيات المجتمع الجزائري، فالمبشرون راهنوا على إسلام سكان الجزائر، وركزوا على منطقة القبائل بحجة إن الإسلام لم ينفد إلى أعماق أهلها، وهذا ما دفع بالجزائريين إلى إقامة البنينة وإبداء سخطهم فكان موقفهم من هذه السياسة الرفض وعدم الاستجابة[1].

فإن حادثة تنصير الفتاة عائشة أدت إلى انفجار الشعب وظهور مقاومة عنيفة وانقسمت هذه إلى قسمين : **الأولى** تمثلت في رد فعل الأعيان(الطبقة المثقفة) **والثانية** تمثلت في رد فعل العوام.

أما الأعيان وكان على رأسهم "السيد حمدان بن عثمان خوجة"، الذي كان يعمل صحافيا بارزا في باريس والذي نظم أول حزب وطني سياسي يعرف بلجنة المغاربة ويظم فئة من البرجوازيين الذين كانوا على وعي بدورهم السياسي الوطني وكان هذا الحزب مؤيدا من الشعب، الذي عبر عن آماله ن فقر وضرورة المقاومة[2].

لهذا السبب ألف حمدان خوجة كتابه "المرآة" حتى يستعين به أعضاء لجنة البحث البرلمانية حيث ذكر فيه حالة الجزائر قبل الاحتلال، وظروف الاحتلال والمعاهدة التي اتفق عليها الجانبيين، وركز فيه على نقض فرنسا لبنود هذه المعاهدة لاسيما تلك التي تخص احترام الدين الإسلامي، فكتب على استيلائها على المساجد ونبش القبور وعدم احترام عظام الموتى، ثم بين بالتفصيل ما لحق بالجزائر طيلة سنوات، ثم ختم تأليفه بعرض للحل الوحيد للقضية وهو تكوين حكومة محلية، وقد صرح "حمدان" في تصريحه الشهير:« الجزائر للجزائريين»[3](انظر الملحق رقم2).

---

[1] محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 ، المرجع السابق ص 207.

[2] أو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2 ، المرجع السابق ، ص ص27،28.

[3] حمدان بن خوجة ، المرآة ، تعريب محمد العربي الزبيري ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1975 ، ص 269.

كما كان "لأحمد بوضربة" موفق ورد فعل إزاء سياسة فرنسا فقد كتب في مذكراته للجنة الإفريقية أنه مادامت فرنسا قد استهدفت ومست مقومات الأمة الجزائرية فإنها لن تنجح في استمالة الشعب الجزائري مهما فعلت[1].

ونتيجة للضغط المتزايد عينت الحكومة الفرنسية لجنة بحث برلمانية وأرسلتها إلى الجزائر لتبحث في قضية التنصير وكانت برئاسة المرشال ماكمهون وذلك في ماي 1869، وقد اجتمعت بمجموعة من المسلمين الجزائريين على رأسهم ثلاثة أعضاء يمثلون المجالس العمالية لقسنطينة و الجزائر و وهران وكان موقف هؤلاء النواب مشرفا إذ بينوا للجنة المظالم التي كانت البلاد مسرحا لها، وهذا ما دفع الحكومة عند رجوع اللجنة إلى باريس لاتخاذ قرارات وقوانين متضاربة متناقضة منها قانون14 جويلية 1869م والذي ينص: على منح الجزائريين الجنسية الفرنسية، وبالتالي يكون له الحق في التمتع بحقوق الرعايا الفرنسيين إلا أن الإحصائيات تثبت بالرغم من طول مدة مابين تاريخ صدور القانون إلى 1881 لم يتجنس منهم سوى 783 شخص معظمهم من المجندين والمتفرنسين.

والقانون الثاني هو قانون13 ديسمبر 1866م الذي يقضي بالمباحة للجزائريين بأن يرفعوا أحكام القضاة الشرعيين إلى المحاكم الفرنسية مباشرة فكان موقف الشعب من جميع هذه القوانين موقف الحذر والرفض.

وفي سنة 1892م عينت لجنة بحث أخرى، وأرسلت إلى الجزائر واتصل أعضائها بكثير من المسلمين الجزائريين الذين قدموا للجنة مطالب مهمة جدا منها:

- ضرورة تعريب التعليم، إصلاح القضاء والأحباس، قضية التجنيس التي لا تتلائم مع أصول الشريعة الإسلامية، كما طالبوا بالمحافظة على الأحوال الشخصية وتعاليم الدين الإسلامي بأكملها[2].

[1] محمد العربي الزبيري ، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة و بوضربة ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1981 ، ص193.

[2] المهدي البوعبدلي ، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي ، المرجع السابق ، ص ص 313-319.

أما العامة فكانوا يقومون بالمظاهرات والاحتجاجات الصاخبة، والشكاوي التي تؤيد موقف النخبة وكان المنبع الذي استمد منه الشعب الجزائري رفضه لكل محاولات الإدماج والتنصير هو الدين الإسلامي ولا أدل على ذلك من إعلانهم الجهاد ضد المحتلين كثورة المقراني في1871م.

فقد كان الدين أهم الأسباب التي أدت إلى تحفيز الشعب لمساندة الثورة وحمل السلاح في وجه العدوان الصليبي، ففي رسالة الباشا آغا إلى الشيخ بن كابة وكبراء قرية بوجبيل بني عباس جاء فيها:«وبعد توكلوا على الله ورسوله، تقدموا إلى الجهاد لنصرة دينكم عزما»[1].

لقد لعب الجزائريون المسلمون دورا كبيرا في شن الحملات المضادة للتبشير المسيحي والمبشرين، حيث أظهروا رفضا عنيفا، وعدم استجابة لأي شكل من الأشكال التنصير ويتضح ذلك في الشكاوي التي قدموها لسلطات الاحتلال ضد مبشري جمعية الجزوية والأباء البيض عندما قام أعضاؤها بتهريب الأطفال من جرجرة إلى فرنسا، كما بلغ الرفض ذروته في الجنوب، إذ كان الشعب يعدم كل من حاول الدعوة إلى المسيحية.

وهذا يدل على وعي الجزائريين بالقضية، وكل الوسائل والحيل التي اتبعها المبشرون لم تكن خفية عن الجزائريين مثل المدارس التي أقامها المبشرون كان الجزائريين ينظرون إليها بعين الحذر والحيطة حيث كان الأباء يعاقبون أبنائهم عندما يدخلون هذه المدارس خوفا من تنصيرهم وحرصهم على المحافظة على دينهم[2].

ويعترف المبشرين أن اهتمام الجزائريين بإرسال أبنائهم إلى المدارس التبشيرية كان ضعيفا ويفضلون تعليم أبنائهم في الكتاتيب القرآنية لحفظ القرآن وتعليم كيفية تأدية الصلوات الإسلامية.

وقد أفسد الجزائريون على المبشرين مخططاتهم التنصيرية، وذلك بإتباع نظام خاص مع ذويهم الذين غر بهم فتنصروا وتمثل هذا النظام في:

1- طرد المتنصر الجزائري من البلاد عن طواعية أو بالقوة.

2- الامتناع عن مصاهرة المتنصرين.

---

[1] محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر 1830- 1904 ، المرجع السابق ص 207.

[2] المرجع نفسه، ص 209.

3- معاقبة المتنصرين بطرق مختلفة كالتعذيب، الحرق، وقد يصل إلى حد القتل لأنهم كانوا يرون في تقبل المسيحية كدين بدل الإسلام عار وتدنيس للشرف، فكل الوسائل مباحة لمحوه[1].

جاء في كتاب "أحمد بن نعمان" أن أحد القساوسة التقى بعجوز تبكي، فسألها عن سبب بكائها فأخبرته أنها حائرة على ابنها الذي لم تصلها منه الحوالة المعتادة لتنفقها على أبنائها الصغار، فتظاهر القس بالرثاء وقام بتقديم بعض المساعدات لها مقابل أن تأتي للكنيسة كل يوم أحد، لتحضر الصلاة المسيحية فاضطرت العجوز أن تفعل تحت وطأة الحاجة لبعض الأسابيع ثم انقطعت ولما سؤلت عن سبب ذلك أجابت: « لقد بعث لي إبني الحوالة والحمد لله» فثار القس وقال لها: « إذا لم تستمر في الحضور فسوف أجبركي على إرجاع ما أخذته من مساعدة حتى الآن»[2].

فأجابته العجوز:« أنا أخذت المساعدة مقابل حضوري لصلاتكم، فتعالى أنت إلى مسجدنا يوم الجمعة وسأرجع لك كل ما أخذته»

وكذلك قصة المدرسة الفرنسية أتت للتدريس في بلاد القبائل في قرية نائية وكان عليها أن تقدم كل صباح درسا حول الصليب والمسيحية، فهي تردد على التلاميذ كل يوم عبارات متتالية (الأب، الإبن، روح القدس) فلاحظت المدرسة أنها كلما ذكرت كلمة "ابن الله" انفجر التلاميذ بالضحك، فتعجبت من هذه الظاهرة فتساءلت عما يضحكهم، فأجابتها فتاة صغيرة وبكل تعجب: قلت يا سيدتي الله وابن الله ؟! فهل يعقل إن يكون لله ابن!؟ وهنا تأكدت المدرسة أنه من المستحيل أن يتحول أبناء هذا الشعب عن دينهم الذي ورثوه بالفطرة[3].

فهاتين القصتين يؤكدان على مدى تمسك وتأصل الدين الإسلامي في الشعب الجزائري، ولن يقبل غير الإسلام دينا.

وقد اعترف المستشرق الفرنسية جاك بارك أن عدد الجزائريين الذين اعتنقوا المسيحية في عهد لافيجري لم يبلغ الألف رغم الوسائل الكبرى التي سخرها ورغم مساندة النظام الاستعماري له وبقدر ما كنت الإدارة الفرنسية مصممة على تطبيق سياسة الفرنسة والتنصير ومحاربة اللغة بقدر ما كان

---

[1] محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر 1830- 1904 ، المرجع السابق ، ص ص 210-212.

[2] أحمد بن النعمان ، التعريب بين المبدأ والتطبيق ، المرجع السابق ، ص 111.

[3] المرجع نفسه ، ص 113.

أفراد المجتمع الجزائري وخاصة الأرياف يقاومون هذه السياسة من جهة، ويحافظون على اللغة العربية من جهة أخرى[1].

ومما سبق يتضح أن مقاومة الشعب الجزائري الروحية لا تقل عن المقاومة المسلحة الطويلة، وأن الشعب يفضل اعتزازه بدينه وقوميته لم تستهويه مظاهر الحضارة ولإغراءات المبشرين، مما مكن الجزائر أن تبقى صامدة فلم يتمكن المعمرين من الوصول إلى أهدافهم وإدخال البلبلة في صفوف الشعب، فلم يكن ذلك إلا ابتداء من فرض التجنيد الإجباري، إذ كان الشباب المجندين عندما يبعدون عن بيئاتهم يسقطون ضحايا للرذائل، كما كان لعامل الهجرة التي فتحت أبوابها أمام الجزائريين أعقاب الحرب العالمية الأولى أثر في تغيير عقلية المهاجرين لاسيما منهم الذين تزوجوا بالأجنبيات[2].

[1] أحمد بن النعمان ، التعريب بين المبدأ والتطبيق ، المرجع السابق ، ص 175.

[2] المهدي البوعبدلي ، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي ، المرجع السابق ، ص 330.

III. آثار وانعكاسات سياسة التنصير على المجتمع :

انعكست سياسة الفرنسة والتنصير على المجتمع الجزائري وتركت به آثارا بالغة ذلك أن فرنسا سعت جاهدة لقتل الروح المعنوية التي تربط الجزائريين بين من أجل أن تصبح جزءا لا يتجزأ من فرنسا، وهذا لم يكن حبا للجزائريين ولا قصدا في نقل الحضارة إليهم، بل غرضها تثبيت أقدام الاستعمار في أرض الجزائر والسيطرة على الشعب من جانبين: الجانب الديني وذلك بتمسيح الشعب وتنصيره إذ عملت على محاربة الدين والتشكيك فيه لأنها تأكدت أنه مصدر قوة الجزائريين، إذ عملت على هدم المساجد والزوايا وأقامت الكنائس والمعابد والملاجئ، أما الجانب الثاني فهو الجانب الثقافي ويتعلق باللغة العربية والتعليم فكرست جهودها في هذين المجالين، بغية إبقاء الغزو في الداخل، والقضاء على الروح المعنوية[1].

ولكي نقف على مخلفات سياسة التنصير الفرنسية في الجزائر بات من الضروري الوقوف على أشكال التحدي التي تواجهها الجزائر المسلمة من جراء الاحتلال العسكري والغزو الفكري والصليبي والتي حاولت الحد من المد الإسلامي في الجزائر، وأغرقت العالم الإسلامي عامة في مشاكل زائفة[2]. نذكر منها:

1. ظهور النزعة البربرية :

لقد بدأها المستشرقون والمبشرون في أوائل القرن 20 ثم تولى أمرها اللذين تأثروا بأفكار الثقافة الفرنسية، وقد أطلقت عليها السلطات الاستعمارية وقت الاحتلال اسم النخبة لتميزهم عن بقية الجزائريين وأصبحوا دعاة متحمسين لاندماج الجزائر في فرنسا والتجنيس بجنسيتها، رغم أن هذا يتعارض ومقومات الشخصية الجزائرية (الاسم، العروبة، الوطنية الجزائرية)، ولقد أصبحت هذه النخبة بمثابة عامل هدم ضد شخصية بلادهم، وتجلى لنا هذا اليوم عند أصحاب النزعة البربرية الذين

---

[1] محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر ، المرجع السابق ، ص 242.

[2] عبد اللطيف عبادة ، العلم الإسلامي بين مواجهة التحدي والخلق الحضاري ، الأصالة ، العدد 89-90 ، 1981 ، ص 80.

يرفضون الانتماء العربي الإسلامي للشعب الجزائري وهذه الحركة قد ظهرت كما رأينا بفعل خطة فرنسية شرع في تنفيذها بإتقان بعدما استأصلتها من الحركة الوطنية ثم عملت على بعثها من جديد[1].

بتأسيس الأكاديمية البربرية بباريس 1967، بتمويلها وتخطيطها وتنفيذها محلي جزائري تحت أقنعة مختلفة ووسائل متعددة تحت الشعار الثقافي لهذه الحركة، لذلك أوجدت لغة ثانية مناسبة للغة العربية الرسمية، إذ أنها تعلم أنه لا وجود لوحدة وطنية بدون وحدة لغوية[2].

2. ميدان التعليم :

مادتي التاريخ والجغرافيا يعتبران مادتان علميتان ذات إستراتيجية خطيرة في بناء الكيان القومي الوطني، لذلك ركزت فرنسا جهودها عليهما بالمسح والتشويه، وما يدل على ذلك ما كانت تدرسه في مادة التاريخ و الذي يعتبر بمثابة شعور الأمة وذاكرتها ووعيها بكيانها على أن الجزائر قديما تسمى "الغال" "GAUL" وأجدادنا يدعون الغاليين "Gaulaes" بمعنى أن أصلنا ينحدر من جنوب فرنسا لا من شبه الجزيرة العربية.

أما الجغرافيا فكانت تدرس الجزائر على أنها جزءا لا يتجزأ من الوطن الفرنسي الأم، وكانت دراسة هاتين المادتين مختصرة جدا، وهذا من أجل فصل الجزائريين عن ماضيهم ومقدساتهم[3].

بالإضافة إلى تجاهل الفترة الإسلامية من تاريخ الجزائر، خصوصا في الكتب المدرسية، حيث تبدأ الحضارة في نظرهم من عهد روما ثم تنتقل إلى العهد الفرنسي، وخصصت لها حصة واحدة في الأسبوع و في التعليم الثانوي يدرسونها ساعة واحدة في الأسبوع في السنتين الأوليتين بالنسبة لشعبة العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، بينما تغيب في العلوم التقنية، ولقد سجل المبشرون أكبر تأثير لهم في التعليم أكثر من غيره[4].(أنظر الملحق رقم)

كما نجد هذه الظاهرة في الآثار فنرى مدن تيمقاد، شرشال و جميلة...الخ، خصصت لها أموال كبيرة من ميزانية الدولة ونظمت لها قوافل السواح من بلدان العالم، أما بجاية تلمسان وقلعة بني حماد

---

[1] أحمد بن النعمان ، فرنسا والأطروحة البربرية ، ط2 ، دار الأمة ، 1997 ، ص 27.

[2] المرجع نفسه ، ص 27.

[3] رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ، المرجع السابق، ص ص217،218.

[4] محمد عزوي ، تعقيب حول محاضرة عثمان الكعاك ، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي ، مجلد 4 ، ص 1209.

لم تلق الاهتمام نفسه، ويعتبر هذا الاستعمار –الثقافي–أخطار استعمار، فهو إفساد للعقل والروح وتشويه للشخصية الإنسانية للأفراد والجماعات لهذا يصعب التخلص منه إلا بعد وقت طويل وجهود كبيرة[1].

3. انحراف الطرق الصوفية :

عملت فرنسا على كسب أصحاب الطرق الصوفية إلى جانبها ، فأصبحوا أداة طيعة في يدها واعتبرتهم الممثلين الحقيقيين للإسلام والجزائر، حيث قال الإبراهيمي:« أنهم جامدون ومنحرفون، فقد ساعدوا بدون أن يشعروا على محاولة نجاح سياسة الفرنسة في الجزائر».

لذلك كانت أول مهام الحركة الإصلاحية هو محاربة الطرق الصوفية المنحرفة من أجل القضاء على خرافاتها وشعوذتها[2].

فنجد أن حركة التنصير قد أفرزت دعاة التغريب، أصحاب المواقف السلبية الذين يرفضون الاعتراف للإسلام بقدرة التلاؤم مع عصرنا الحالي لذلك نجدهم يجرون المجتمع الجزائري الأخبط في معضلات وهمية وخطيرة أهمها:

هل الدين يتوافق مع العلم والسياسة؟ هل يساير روح العصر؟ هل للمحرمات الإسلامية أساس علمي؟ هل المرأة تتمتع بكامل حقوقها في المساواة والحرية؟...

هذه الأسئلة تندرج فيما نسميه التوفيق بين الإسلام والنظم الوضعية الحديثة ،فدعاة التغريب يريدون التنصل من المبادئ الإسلامية فيلجئون إلى النظم الوضعية ويأخذون منها ما يأخذون دون إن يكلفوا أنفسهم عناء التعمق في المفاهيم الإسلامية، وبما أننا مسلمين لبدلنا من فهم مقاصد الإسلام في كل مجال من المجالات قبل الخوض في مثل هذه المعضلات وحتى النظم الوضعية التي نلجأ إليها كثيرا متناقضة بالضرورة[3].

وبالرغم من النتائج التي تحصلت عليها فرنسا من سياسة التنصير إلا أنها لم تحقق نجاحا كبيرا لأن مخططاتها كانت تهدف إلى إدخال الجزائريين في النصرانية ككل ، لكن الأهالي تمسكوا بدينهم

---

[1] المهدي البوعبدلي ، أثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده ، المرجع السابق ، ص 1340.

[2] رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده ، المرجع السابق ، ص 121

[3] عبد اللطيف عبادة ، العلم الإسلامي بين مواجهة التحدي والخلق الحضاري ، المرجع السابق ، ص81.

ولغتهم ومقوماتهم ، إذ ما حققه مع اليتامى وفي بعض مناطق القبائل لم يكن سوى نجاحا محدودا للغاية[1].

وقد اعترف الفرنسيون بضآلة النتائج التي حققوها مقارنة مع الأهداف التي رسموها لذلك نجدهم اليوم يسعون إلى تطبيق وسائل جديدة لتنصير المسلمين ومنها: التعليمية ، السياسية ، المادية ، الدينية المرأة...الخ . لأنها تشكل اهتمامات الشعوب الإسلامية ومن أهم هذه الوسائل نذكر ما يلي:

✓ **الإعلام :**

حقق الإعلام تطورات مذهلة لذلك عمد المسيحيون إلى استغلاله له، و ذلك بتقديم حياة المسيح من خلال حلقات إذاعية مسلسلة للمسلمين في هذا العالم المليء بوسائل اللهو ، والحرص على تقديمها على أساس وجود شخص قوي الإرادة إلى درجة يستطيع مقاومة الرغبة في تغيير المحطة ، ونفس الشيء يحدث على التلفزيون من خلال إحداث قنوات تعمل على بث ونشر المسيحية أو على الأقل تسعى لانسلاخ المسلمين عن قيمهم الأخلاقية وإبعادهم عن الرب.

✓ **استغلال المصطلحات اللغوية :**

يمكن إن يكون استعمال اللغة وسيلة لتنصير، إذ نجد مثلا كلمة مسلم رغم إن المنصرين كانوا لا يحبونها من الناحية التاريخية والدينية إلا أنهم يدركون حقيقة مجهولة عندنا وهي أن لهذه الكلمة مدلول إنجيلي أي استسلم ، إذ أضافوا إليها عيسوي أي "مسلم عيسوي" يعني استسلم لعيسي. كذلك كلمة مسجد فهي تثير مشاعر المنصرين فأضاف إليها كلمة عيسوي فأصبح "مسجد عيسوي" ، وربما نجد تقبل المسلمين لمسجد عيسوي ضمن الثقافة الإسلامية.

ويؤكد دورنالدر أن هذا ليس معناه التوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة ولا يفكر في إيجاد مكان لمحمد بجانب عيسي ، « فالإنجيل يقوم بالإقناع في المسجد بغض النظر عن اللافتة الموجودة

[1] أحمد بن النعمان ، فرنسا والأطروحة البربرية ، المرجع السابق ، ص 29.

على الباب» وسيعملون على المحافظة بقدر الإمكان على الخلفية الثقافية حتى لا يشعر المسلم أنه انتقل من ثقافة إلى أجنبية[1].

✓ **حلقات الدراسة بالمراسلة :**

وقد ابتدعت منذ 1963 وظلت تخاطب المسلمين على مستوى احتياجاتهم الآنية ويقدمون فيها مشاكل مؤلمة يعاني منها الناس خاصة تلك التي تخص المرأة بعناوين مثيرة مثل حقوق وماذا قال عنها الكتاب المقدس[2].

✓ **الأيام المخصصة للعبادة :**

رأى المنصرون أنه ليس من الضروري الحفاظ على يوم الأحد كيوم روحي أو ديني ، ولبأس أن يوم الجمعة يوم العطلة ما دام هذا الإجراء له أثر فى الحفاظ على الموقف الروحي لدى المسلمين العيسويين ويحقق مكاسب روحية لفائدة النصارى، ونفس الشيء لشهر رمضان الذي لبد أن يكون مليء بالعمل والنشاط بدل التخلي عن الممارسات الدينية بالنسبة للنصارى أما مناسبات الزواج و الميلاد وحتى الجنائز يمكن أن تكون عيسوية دون إظهار الظواهر الوثنية حتى تبدو على أنها جزء من الثقافة الوطنية[3].

لكن رغم كل هذه الخطط والوسائل والمناهج المتبعة لتنفيذ هذه السياسة يمكن وضع إستراتيجية هادفة لمواجهة التنصير حيث يكون التركيز على دعائم المجتمع والأمة أي على النواحي الاجتماعية، الصحية، التعليمية ، الدعوية ، الثقافية وغيرها وتكون كما يلي :

- **المجال الاجتماعي :** يعد هذا المجال من المجالات الهامة لذلك نجد المبشرين يركزون عليه وذلك لتحقيق أهدافهم لذلك يجب علينا العمل من أجل النهوض بالمناطق الإسلامية الفقيرة وتخليصها من ثالوث الفقر والجهل والمرض وإقامة المشاريع الخيرية بها.

---

[1] دورنالدر-ريكاردو ، تطوير وسائل جديدة لتنصير المسلمين ، المؤتمر التبشيري ، دار مارك ، الو م أ ، 1978 ، ص 614.

[2] المرجع نفسه ، ص.610

[3] المرجع نفسه ، ص 616.

- **المجال التعليمي** : لبد أن يستغل دعاة الإسلام هذا المجال لمحاربة المدارس التنصيرية ، والعمل على تنقية المناهج الدراسية في جميع الأطوار من الشوائب وأثار التغريب وضرورة الاهتمام بمادة التربية الإسلامية وتدريسها في جميع الكليات والجامعات وإنشاء المدارس الإسلامية في البلدان المسلمة الفقيرة.
- **المجال الإعلامي** : يعد من أخطر المجالات التي اعتمد عليها المنصرين لتحقيق أهدافهم وبالتالي لبد من تضيق الخناق على الصحف والإذاعات التنصيرية وضرورة التشويش وإنشاء إذاعات إسلامية موجهة للبلدان الفقيرة في أسيا وإفريقيا ، ودعم وكلات الأنباء والإذاعات الإسلامية الموجودة.
- **المجال الدعوي** : بما أن الناحية الدعوية هي الجبهة الرئيسية لمواجهة التنصير فلا بد من التنسيق والتعاون بين المؤسسات وأجهزة الدعوة الإسلامية ، وتركيز النشاط في المناطق التي ينشط فيها التنصير حتى لا تترك المسلمين فريسة سهلة أمام المنصرين وتطوير وسائلها وأساليبها واستغلال كافة وسائل الإعلام الحديثة لتبليغ كلمة الحق ، وعداد دعاة متخصصين في كافة المجالات كالهندسة، المحاماة، الطب ،...الخ وإرسالهم إلى المناطق الإسلامية الفقيرة في إفريقيا وأسيا.

خاتمة

الخاتمة :

ظاهرة التنصير ليست بظاهرة جديدة بالنسبة للفرنسيين إذ تعود إلى عهود غابرة فقد كانت محاولاتهم التنصيرية في شمال إفريقيا قبل القرن 19 كثيرة، لكنها باءت بالفشل وما أن توفرت ظروف جديدة ، حيث تغير نظام الحكم في فرنسا، فشجعت الحكومة الفرنسية هذه الظاهرة وعملت على إحياءها في شمال إفريقيا آملة في استرجاع أمجاد إفريقية الرومانية ثانية .

هذا ما دفع وشجع المنصرين في شمال إفريقيا على استغلال ظل السلطة لتبشير المسلمين بالمسيحية، وما إن تم احتلال فرنسا للجزائر في 1830م سارت الكنيسة والسلطات الاستعمارية جنبا لجنب لتنفيذ سياسة التنصير غير مبالين بالجزائريين متبعين مختلف الوسائل لبلوغ أهدافهم، وبعد الانتهاء من بحثي اتضحت لي الاستنتاجات التالية :

1. الجذور التاريخية للتنصير تعود إلى ظهور الإسلام في العالم ليبدأ الصراع بين هذا الأخير والمسيحية ، وقد ساهمت الحروب الصليبية في توسيع دائرة هذا الصراع خاصة بعد فشلها ، مما زاد في نقمة وحقد المسيحيين على الإسلام والمسلمين .
2. غزو الجزائر كان منذ بداية غزو صليبيا ، أعلن أهدافه بوضوح تام إذ أعاد إلى الأذهان ملامح الحروب الصليبية في المشرق ، وأيامها في أندلس المسلمين .
3. العلاقة بين الاستعمار والكنيسة أصبحت من العلاقات المسلم بها تاريخيا والمعترف بها دوليا، إذ الاحتلال هو نتيجة من نتائج التنصير الكنسي، وما كان التنصير إلا مقدمة للاستعمار .
4. لم يكن تنصير الجزائريين لإنقاذهم من الجهل ولاقتصدا في نقل الحضارة والمدنية إليهم –كما يزعمون– بل كان غرضهم خدمة الاستعمار الفرنسي بتحويل الجزائريين ومسح مقوماتهم .
5. موقف السلطة الفرنسية من التنصير كان غامضا أو بالأحرى متضاربا بحيث كانت تعارض التنصير علنيا خشية نهوض الشعب ضدها، وتشجعه سريا لتدعيم نفوذها في الجزائر .
6. التنصير في الجزائر كان يهدف إلى إفراغ الجزائري من الداخل وجعله فرنسي اللغة والدين والعادات والتقاليد.
7. لم يكن المبشرون محسنين أو أصحاب أعمال خيرية كما يفهمه السذج والمخدوعون لكنهم استغلوا ما بأيديهم من وسائل للوصول إلى أهدافهم وغاياتهم التنصيرية الاستعمارية.

8. كانت غاية المنصرين في الجزائر هي خلق التفرقة والقضاء على وحدة الجزائر بزرع فكرة القبلية تطبيقا لسياسة فرق تسد.
9. تمسك الجزائريين بالدين الإسلامي من منطلق فطري، وبفضل جهود الحركة الإصلاحية ودور الزوايا القرآنية تمكن الجزائريين من التفطن والتصدي لسياسة التنصير، إلا من غربهم بسبب ظروف قهرية فرضت عليهم.
10. النشاط التنصيري بالجزائر قد فتح الباب على مصرعيه في كل القارة الإفريقية.
11. التنصير لم يرحل الاحتلال، وإنما رحلت جيوش الاحتلال وبقيت رواسب التنصير، وواجبنا هنا لا يمكن في محو هذا الآثار وتطهير البلاد منها وإنما الأهم من ذلك هو التفطن إلى الأساليب الجديدة التي ابتكروها التي هي على قدر كبير من الذكاء لتتماشي مع التقدم العلمي والحضاري والأخطار من ذلك التواطئ الخفي والعلني بين التنصير والصهيونية تارة وبين التنصير وموجات الإلحاد التي تعمل شعارات فلسفية ودينية من جهة أخرى.

يقول بسام العسلي: " لقد زعموا أنهم بذلك يستطيعون إذلال الإسلام من خلال إذلال المسلمين، وجهوا أن السلام لا يذل لأنه شريعة الله وجهوا أيضا أن إذلالهم للمسلمين هو محنة أو بلاء في عقيدة المسلم لابد له من تجاوزه.."

وخير ما نختم به قوله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

«يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله يتم نوره ولو كره الكافرون...»

الملاحق

الملحق رقم 1

المؤسسات الدينية	حولت إلى		سنة التحويل
	كنائس	مصالح عسكرية و مدنية	
1- مسجد سيدي عمار التلمساني		ثكنة عسكرية	1830
2-مسجد صباط الحوت		مخزن للحبوب	1830
3-مسجد عبدي باشا		ثكنة عسكرية	1830
4-مسجد كتشاوة	كاتدرائية سيدة الجزائر		1832
5-مسجد سيدي الرجي		صيدلية مركزية	1833
6- مسجد عين الحمراء		ثكنة عسكرية	1879
7-مسجد سيدي ابن الحسن(تلمسان)		متحف	
8-مسجد القصبة	كنيسة الصليب المقدس		
9- مسجد علي بتشين	كنيسة سيدة النصر		
10- مسجد القائد علي	مقر جمعية أخوات القديس جوزيف		
11- مسجد السيدة مريم		متصرف عسكري	
12- مسجد علي خوجة		مصالح عسكرية	
13- مسجد القشاش		مشفى مدني	
14- مسجد سيدي محمد الهواري(وهران)		مخزن للعسكريين	
15- مسجد صالح الباي(قسنطينة)	كنيسة		
16-مسجد عين البيضاء (معسكر)		مخزن الحبوب للجند	

الزوايا	
1-زاوية القشاش	- لقيت المصير نفسه للمسجد
2- زاوية سيدي الجودي	- بيعت لأحد الأوروبيين
3- زاوية الشرفة	
4- زاوية الشبارلية	- أعطيت للدرك
5- زاوية الدحنون	- ثكنة عسكرية ثم مستشفى عسكري

أبوالقاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، مرجع سابق،ص ص:84-85.

صالح عوض، معركة الإسلام و الصليبية في الجزائر (1830-1962)، مرجع سابق، ص ص:204-205.

الملحق رقم 2:

رسالة حمدان خوجة الى « اللجنة الافريقية » سنة 1833

(نتيجة للضغط المتواصل من حزب المقاومة بزعامة حمدان خوجة ، عينت الحكومة الفرنسية اللجنة المعروفة ، «باللجنة الافريقية» لكي تحقق في الوضع بالجزائر معاينة . وقد ظن خوجة أن هذه الحركة تعني النصر للانسانية والعدل ، بالاضافة الى حرية واستقلال الجزائر ، فبعث بنسخة من كتابه « المرآة » و «مذكرة» طويلة الى اعضاء اللجنة ، وقد اضاف الى هاتين الوثيقتين الرسالة التالية ايضا ، عبر فيها عن الامل في ان فرنسا ستعامل الجزائر كما عاملت اليونان وبلجيكا) .

باريس في 26 اكتوبر 1833 ..

ايها السادة :

كصديق للانسانية وجزائري ، فان لدي معرفة عميقة بالمشكل الجزائري ، وباصول عيوبه ، وبسبب الحرب ، وبالوضع الحقيقي للبلاد قبل وبعد الاحتلال الفرنسي .

وبعد أن تنقلت في أوروبا ، وقارنت فضيلة الدول المتحضرة الحرة ، وفائدة السعادة ، وبعد أن اعجبت بمبادىء الكرم والانسانية التي تشكل ملامح الانسان الفرنسي ، فاني لا اخشى ان انبه فرنسا الى مصالحهما الحيوية ، ففي المدخل التاريخي (المرآة) ، الذي يوضع اليوم امام الراي العام ، شرحت الوضع الحقيقي في الجزائر ، وأني سأعتبر نفسي اسعد انسان اذا كانت الامة (الفرنسية) العظيمة ، التي اضاعلبها بثقة كبيرة ، ستنظر بحب وعطف الى مواطني المنكوبين .

اذا كان ما يجري في الجزائر منذ ثلاث سنوات سيستمر ، فان الشرف الفرنسي سيكون في خطر ، ووعيا لذلك بعثت حكومة جلالة ملك الفرنسيين « لويس فيليب) لجنة تتكون من رجال شرفاء ليختبروا عن قرب الحالة معاينة . أن الانسان لينتظر من هذه اللجنة انتصار العدل والانسانية . اذن ، فاني اجرؤ على ارسال نسخة من عملي (المرآة والمذكرة) الى هذه

اللجنة ، لا ادعاء للتاثير على تقريرها واعمالها ، ولكن لاني مقتنع تماما بان ملاحظاتي حول الاخطاء التي ارتكبت في الجزائر قد تساعد اللجنة على راب الصدع ، وخصوصا على تعرف الحقيقة .

انه من المؤلم ان نقول ، بل اكثر ايلاما ان نفكر ، بان الادارة الفرنسية قد وقفت لقيلة ، كحمل من الرصاص ، على هذه البلاد (الجزائر) ، فماذا كانت النتيجة ؟ ان حاجزا لا يمكن اجتيازه قد اقيم في الجزائر بين الشعبين اللذين لا يمكن ان يتكلما نفس اللغة ، ولا يعتنقا نفس الدين ، ولا يلبسا نفس الثياب ، ولا يمارسا نفس طريقة الحياة ، ولا يمكن اليوم استرجاع الروح التي لم تزدها سنوات العناء الا صلابة قوية .

كل شيء يحدثني بان اعضاء هذه اللجنة ، نظرا لما تتخذوه من الوسائل لازالة الحمل عن مواطنينا المنكوبين ، متشبعون بعواطف الانصاف ، والامانة ، والعدل السحيح ، كل شيء يحدثني ايضا بان لهم قلوبا فرنسية ، وان شرفهم الوطني هو في مكان الصدارة لاعمالهم . انه لهؤلاء الاشخاص المعروفين بمشاعرهم (الانسانية) قد قمت بعملي ، وليس لاصحاب الصالونات الذين لا يشعرون بشيء والذين ليسوا تقريبا دائما قادرين على استيعاب اي شيء .

اني حين افكر بان اليونانيين مدينون باستقلالهم الى الفرنسيين وان البلجيكيين مدينون بحريتهم اليهم . وان كل الشعوب الفخورة والمنكوبة قد وجدت دائما منهم اعظم عاطفة كريمة ، فاني اضيء نفسي على الخطوة الشريفة التي خطوتها . لا ، (ايها السادة) ، ان الجزائريين لا يستحقون ان يرمي بهم خارج المجموعة (العالمية) ، انهم جزء من العائلة الانسانية . وان الدم الذي يجري في عروقهم ، ايها السادة ، له نفس الحرارة التي في دمكم .

فهل ستشفقون على حالتهم ؟ ليس هناك اي حل سوى تغيير الوضع لاستعادة النظام وميلاد ثقة جديدة في الجزائر ، ان مساعدتكم المتنورة قد اصبحت ضرورية ، وان الجزائريين واضعون كل ثقتهم فيكم .

لذلك ارجو ان تحققوا آمالهم التي هي ايضا آمالي (!) . (عبارات ختامية) .

أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 447.

الملحق رقم 3:

La mission des indigènes dans les statut

Article1 les prêtres ne perdront jamais de vue la mission des indigènes et ne négligeront rien pour hâter le moment si désiré de leur conversion. Ils favoriseront toutes les entreprises faites à cet égard. Prières, sacrifices, bonnes oeuvres; procédés ingénieux exemple de vertu, tout sera employé dans ce but. Quel scandale, à jamais irréparable, peut-être, si le caractère sacerdotal qu'ils vénèrent ne venait à s'avilir à leurs yeux, par la malversation de ceux qui ont l'insigne honneur d'en être revêtu:, nous ne cesserons donc de nous montrer à eux toujours graves, pieux, réservés, affables. Pourtant nous ne nous lasserons pas de leur faire du bien, et de leur témoigner le regret de n'en pouvoir faire davantage.

Article 2 les indigènes pauvres seront portés sur les listes de secours, et plus encore, sur cette liste du cœur apostolique ou la main de la charité doit écrire toutes les misères de l'esprit et du cœur, pour arriver à les soulager toutes.

Article 3 dans une pensée de préparation plus immédiate s'appliqueront à l'étude de la langue arabe, du Coran, des usages et des mœurs des indigènes, afin de pouvoir s'insinuer plus aisément dans leur esprit leur esprit, d'être à même de leur montrer dans l'occasion, le côté faux et et immoral de leurs croyances.

Article 4 (si l'occasion se présente d'elle même) ou si l'on peut amener avec prudence l'occasion de parler avec eux de religion, seulement il faut procéder, avec une grande mesure de ne pas heurter, dès le début leurs préjugés, ne pas les fatiguer de questions, répondre avec empressement à celles qu'ils nous adressent, les écouter avec bonté, prendre pour point de départ avec eux, les dogmes communs entre eux et nous, la création la révélation, la loi mosaïque, la mission des prophètes, celle de Jésus-christ, exposer plutôt que discuter, répéter sans crainte et sous une forme brève sentencieuse, donner le nom d'allégorie, et trouver un sens spirituel aux écrits bizarres et controversés du Coran, des légendes, etc…

Article 5 les petits enfants espérance plus fondée de notre mission auprès des indigènes, seront l'objet d'une sollicitude encore plus paternelle ; on tachera

d'attirer les garçons, par de petits moyens, dans les écoles d'abord, puis dans les églises.

On leur prouvera qu'on les aime, mais en gardant avec eux une extrême réserve, quant aux petites filles, on confiera le soin exclusif aux religieuses ou aux maîtresses d 'écoles.
(Les prêtres et sœurs recueilleront tous ceux qu'ils trouveront orphelins ou abandonnés, pour nous les envoyer à nos frais à Alger, où nous les placerons dans des établissements charitables.

المرجع: محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر (1830-1904)، مرجع سابق، ص 249.

محمد الطاهر و علي، التعليم التبشيري في الجزائر (1830-1904)، مرجع سابق، ص249.

الملحق رقم 4:

Lettre de Mgr. Pavy à M. d'Hautpoul, ministre de la Guerre.

Aix, le 23 septembre 1850 Monsieur le ministre, Permettez-moi d'aborder sans détour une question d'une très haute importance; jusqu'ici, je n'ai rien tenté de direct pour la nation arabe; la prudence semblait me faire un devoir de cette réserve : mais la prudence a ses limites et le droit de Dieu réclame de nous un dévouement qui, pour avoir été longtemps mûri dans le coeur, n'en sera que plus vif et plus fécond à son heure.

Dans mon intime conviction d'évêque, je suis obligé de faire tout ce qui dépendra de moi pour tenter l'oeuvre immense de la conversion des arabes, mais dans ma conviction de français, je n'en crois pas moins qu'il faut tout essayer pour amener à la foi de l'Evangile des hommes qui lisent le Coran (tu poursuivras l'infidèle jusqu'à ce qu'il ait accepté le livre ou le tribut).

C'est là ce qui me met un obstacle invincible à toute assimilation dans cette pensée, Monsieur le ministre, j'ai traité avec le R.R.P.P. jésuites; ils accepteraient de commencer sous ma direction immédiate et par conséquent sous ma responsabilité personnelle ce genre de la mission dans les tribus de la province de Constantine; je n'ai pas besoin de vous dire quelles sont la sagesse, l'habileté, la générosité de ces saints religieux ; nul ordre, selon moi ne peut faire avec succès en ce genre ce dont ils sont capables ; seulement, ils me demandent trois choses Monsieur le ministre

1)que les bureaux arabes ne mettent aucune opposition à leur communication avec les tribus;

2)que les chefs militaires les voient de bon oeil et les favorisent;

3)qu'ils aient la bienveillance du gouvernement, une maison à Constantine, ou non loin de là où ils puissent se réunir, se concerter, revenir, prendre de temps en temps un repos nécessaire ; et enfin un centre d'unité pour leur mission proprement dite seraient à la charge de la propagation de la foi.

J'ai trouvé ces conditions tout à fait raisonnables, Monsieur le ministre, et je n'hésite pas à vous les soumettre ; j'espère que vous voudrez prendre en considération une demande dont la réalisation l'emporte si vivement à la gloire de Dieu, à la civilisation, à la consolidation de notre conquête et à l'honneur de la France.

Signé Louis Antoine Augustin Pavy

Evêque d'Alger

المرجع : خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871)، مرجع سابق، ص ص: 182-183.

ملحق رقم 6:

مراسلة المطران لافيجري إلى المارشال ماك ماهون

نانسي 19نوفمبر1866.

سيدي المارشال

بعد أن فكرت مليا، و طلبت من الله أن ينير بصيرتي حول ما أستطيع أن أجيب به معاليكم، بشأن موضوع الطلب، غير، المنتظر، الموجه إلي، بتاريخ أول أمس، سأعطيكم وجهة نظري بكل صراحة.

لا يمكن أن أفكر وحدي أبدا في مغادرتي الأسقفية التي أكن لها حبا عميقا، حيث بدأت فيها خدمات عديدة، و لو أن معاليكم أقترح علي منصبا أكثر أهمية من الذي أنا فيه في نانسي، سيكون جوابي بالسلب حتما، و لكنني لم أقبل الأسقفية إلا كعمل فيه التفاني و التضحية، إنّكم تقترحون علي مهمة شاقة و مجهدة، أي مقرا أسقفيا أقل أهمية، في جميع الجوانب، عن مقري الحالي حيث يستلزم مني النفي، و التخلي عن كل ماهو غالي علي، إنكم تعتقدون بأنني أستطيع أن أفيد هناك أكثر من أي شخص آخر، إن المطران الكاثوليكي،سيد المرشال، لا يعطي إلا جوابا واحدا لمثل هذا الإقتراح: أقبل التضحية الموجعة التي أهديت إلي، و إذا إحتاج الإمبراطور إلى إخلاصي، فإنني لا أتردد، مهما كلفني ذلك.

أسمح لمعاليكم أن تعلموا فخامته جوابي هذا.

الإمضاء: شارل،مطران نانسي.

المرجع:محمد الطاهر وعلي،مرجع سابق،ص، 252.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

I. القرآن الكريم.

II. الحديث.

- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب المساجد و مواضع الصلاة، باب كتاب المساجد و مواضع الصلاة(65/3).

III. الكتب.

1. الإبراهيمي محمد البشير، عيون البصائر،ج2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر.
2. ابن النعمان أحمد، التعريب بين المبدأ و التطبيق (الجزائر و العالم العربي)، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981.
3. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)، ج2، ط3، الشرطة الوطنية للتوزيع، الجزائر.
4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر.
5. أرسلان شكيب، حاضرة العالم الإسلامي، المجلد 1، ج1، ط3، دار الفكر، 1971.
6. اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
7. الألواني محي الدين، مزالق التحدي العقدي و سبل التغلب عليه، مكتب التربية العربية، الرياض، 1987.
8. أليكسي جورافسكي، الإسلام و المسيحية، ترجمة خلف محمد الجراد، مراجعة و تقديم محمود حمدي زقزوق، سلسة عالم المعرفة، الكويت/ 1996.
9. بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية في الفرنسية في الجزائر (1830-1871)، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 2009.
10. بكار عبد الكريم، العولمة طبيعتها وسائلها تحدياتها، ط3، دار الإعلان، الأردن، 2002.
11. بن النعمان أحمد، فرنسا و الأطروحة البربرية، ط2،دار الأمة، 1997.
12. بن النعمان أحمد، كيف صارت الجزائر عربية مسلمة؟، ط2، مطبعة البعث، الجزائر، 1998.

13. بن خوجة حمدان، المرآة، تعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1975.
14. بن نبي مالك، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور و آخرون، دار العروبة، القاهرة.
15. بناحية سعيد محمد أحمد، دراسة مقارنة حول الإعلان العلمي لحقوق الإنسان و نصوص الميثاق الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية و الثقافية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.
16. بواهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، تعريب عمر لطفي العالم، ط1، دار قتيبة، دمشق، 1996.
17. بوصفصاف عبد الكريم، الغزو الفرنسي للجزائر و مواقف أوربا منه، إتحاد المؤرخين العرب، دار روتادرينيت، القاهرة، 1999.
18. بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية(1831-1945)، ط1، دار البعث، الجزائر، 1981.
19. تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته و جهوده في التربية و التعليم(1900-1940)، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1970.
20. جغلول عبد القادر، الاتعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة سليم قسطاوة، ط1، دار الحداثة، بيروت، 1984.
21. جغلول عبد القادر، تاريخ الجزائر الحديث، ترجمة فيصل عباس، مراجعة خليل أحمد خليل، ط2، دار الحداثة، بيروت، 1982.
22. جوليان شارل أندري، إفريقيا الشمالية تسير(القوميات و السيادة الفرنسية)، ترجمة المنجي سليم و آخرون، مراجعة فريد السوداني، دار الزيتونة، تونس، 1976.
23. جوناتان دالي سميث، ما الحرب الصليبية، ترجمة محمد فتحي الشاعر، ط1، دار الأمين، القاهرة، 1999.
24. الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط6، دار الثقافة، بيروت، 1975.
25. حمودة محمود محمد، عساف محمد مطلق، فقه الدعوة و أساليبها، مؤسسة الوراق، عمان، 2000.
26. خالدي مصطفى، فروخ عمر، التبشير و الاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية، بيروت، 1986.

42. شنيتي محمد بشير، التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1984.
43. طاهر علاء، العالم الإسلامي في الإستراتيجيات العالمية، ط1، مركز الدراسات الأوربي، دار بلال، بيروت، 1998.
44. عباس فرحات، ليلة الإستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، ج1، مطبعة فضالة، المغرب.
45. عبدة قاسم قاسم ، ماهية الحروب الصليبية، عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، (دط)، مصر، 1993.
46. العسلي بسام، عبد الحميد بن باديس و بناء قاعدة الثورة الجزائرية، ط1، دار النفائس، بيروت، 1982.
47. العقيقي نجيب ، المستشرقون، ج1، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1980.
48. علي الحجي عبد الرحمن ، التاريخ الأندلسي، ط5، دار العلم، دمشق، 1997.
49. علي مراد، شارل ديفوكو في نظر الإسلام، ترجمة علي مقلد، المطبعة البولسة، 1980.
50. عمارة محمد ، معركة المصطلحات، دار الشروق، القهارة.
51. عميراوي حميدة، جوانب من السياسة الفرنسية و ردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق، الجزائري لبداية الاحتلال، ط1، دار البعث، الجزائر، 1984.
52. عوض صالح، معركة الإسلام و الصليبية في الجزائر من (1830-1962)، ج1، الزيتنة للإعلام، الجزائر، 1989.
53. غزال مصطفى فوزي، الحيل و الأساليب في الدعوة إلى التبشير،(دط)(دت).
54. الغزالي محمد، حصاد الغرور و الصراع العربي الصهيوني(منشأ و مسارا و مصيرا)، تحقيق مسعود فلوسي، ط1، دار ريحانة، الجزائر.
55. فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقين إلى خروج الفرنسيين(814ق.م-1962)، دار العلوم، الجزائر، 2002.
56. قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
57. محمد الحربي عمر، التبشير و علاقته باستعمار ابلاد التونسية(1830-1881)، الكلية الزيتونية للشريعة، تونس.

- جوليو باسيتي ساني، لويس ماسينيون، الدارس المسيحي للإسلام، ترجمة سعدون السويح، ع4، 1987.

6. الوعي الإسلامي:

- ممدوح طمطاوي، الحروب الصليبية الجديدة، ع378، 1997.

7. المنهل:

- فوزي عبد القادر الفيشاوي، التنصير، الخطة المحكمة لاحتواء العالم الإسلامي، ع535، 1996.

8. المجتمع:

- بدر حسن الشافعي، جيش الرب في أوغندا، ع 1635، 2005.

9. الأصالة:

- سافاتوري بونو، وضع الجاليات الأوربية في المغرب العربي قبل الاستعمار، ع25، 1975.
- الطاهر بوشوشي، صفحات من تاريخ جامع كاتشاوة، ع 14-15، 1973.
- (مجهول)، الوقف و مكانته في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية بالجزائر، أواخر العهد العثماني و أوائل الاحتلال الفرنسي، ع89-90، 1981.
- عبد القادر زبانة، 14 قرنا حافلا من تاريخ الإسلام في إفريقيا و التطورات الجديدة، ع75-78، 1979-1980.
- المهدي البوعبدلي، الاحتلال الفرنسي للجزائر و مقومة الشعب في الميدان الروحي، ع8، 1972.
- عبد اللطيف عبادة، العالم الإسلامي بين مواجهة التحدي و الخلق الحضاري، ع89-90، 1981.

10. المنار:

- محمود بوزوزو، ماذا تريد الكنيسة الفرنسية؟، ع 11، 1952.

11. حوليات الجامعة التونسية:

- عبد المجيد الشرفي، الحركة التبشيرية في تونس في القرن 19م، ع8، 1971.

12. مجلة الشروق:

- عبد القادر رزقي المخادمي، الأب شارل ديفوكو أو نبي الهقار، ع44، 1994.

13. سلسة الجهاد الأكبر:

- علال الفاسي، حديث عن التبشير و بعض الوثنيات الطائفية الهندية، الرباط، 1974

V. المتلقيات:

أ- ملتقى التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، دار مارك، كاليفرنيا، 1978.

- آرثر. ف . كلاسر، تقرير المؤتمر.
- إيموند جوبيف، الوضع الحالي للمطبوعات.
- جورج بيتر، نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين.
- دورنالدر ريكاردر، تطوير وسائل جديدة اتنصير المسلمين.
- دون ماكري، حان الوقت المناسب لنطلقات جديدة.
- دون مين ماركريي، تحليل المقاومة و الاستجابة لدى الشعوب المسلمة.
- شان لي أكراج، اللاهوت الإسلام و الجسور.

ب- الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي.

- الحبيب الجنحاني ، حركة التبشير و السياسة الاستعمارية في المغرب خلال القرن 19م.
- عبد الجليل التميمي، من ملامح التفكير التبشيري عند المسؤولين الفرنسيين في القرن 19م في الجزائر.
- عثمان الكعاك، التبشير و التخطيط التبشيري.
- علال الفاسي، نشاط التبشير و دوره الاستعماري و التخريب بالأمس و اليوم و ما يجب القيام به إزاء هذ العمل الخطير.
- محمد عزوي، تعقيب على محاضرة عثمان الكعاك التبشير و التخطيط التبشيري.
- المهدي البوعبدلي، آثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي.

ج- الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي.

- إبراهيم حركات، مراحل الانحراف العقائدي في الإسلام.

VI. الموسوعات:

- منير البعلبكي، موسوعة المورد، ج2، ج3، ج4، ج6، ج8، ج10، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 1980.

VII. القواميس:

- ابن منظور، لسان العرب، ج6، مادة نصر، باب النون، دار المعارف.
- لويس معلوف و آخرون، المنجد في اللغة و الأعلام، ط26، دار المشرق،بيروت، 1986..

VIII. الرسائل الجامعية.

- محمد زين العابدين، محمد الطشو، التبشير في العالم الإسلامي و أهدافه و آثاره، رسالة دوكتراه، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم الدعوة و الثقافة الإسلامية، 1987.

IX. المراجع بالفرنسية:

- Dictionnaire pratique quillet/lifraire aristide quillet/paris/1974.
- Férand(l), les anciens établissememment religieux musulman de constantinenLa revue Africane,N°12,1868.
- G.R.Goyon lavigerie echos et ses lecons, alger,1927.
- G.R.Goyon vision d'afrique , paris,1987.
- Gaid mouloud,les Barbers dans l'histoire (de la préhistoire à la kahina), tom1, edition mimouni,1990.
- Gardinal lavigerie,ecrit d'afrique recueillis et présentés par A.Homman, paris, 1966.
- Lettre Annoncant la prochaine ouverture de l'Asile destiné aus vieillards des deux sexes de lka colonie eropienne du diocés d'alger ouevres choisie de son emimence le cardinla lavigerie,2V ,paris,1984ntom1.
- M.G.R Baunard le cardinal lavigerie,paris,1896.

فهرس الموضوعات